بسم الله الرحمن الرحيم

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة "محمّد الصدّيق بن يحي"- جيجل

كلية الآداب واللّغات

قسم اللغة والأدب العربيّ

دروس في مادّة "مناهج البحث العلمي"

السداسي الأوّل 2021-2022م

المستوى: السنة الأولى ماستر "دراسات لغويّة"/ تخصّص "لسانيات الخطاب"

المجموعة الأولى (الأفواج: 01 – 02)

الأستاذ: د. راشد شقوفي

تمهيد.

بسم الله. والحمد لله. والصلاة والسلام على رسول الله.

أعزائي الطلبة، تحية طيّبة. أمّا بعد..

فإنّ من مسلّمات العصر الحديث أنّ أهمّ سرّ من أسرار تقدّم الشعوب والأمم وازدهارها هو اهتمامها بالبحث العلميّ؛ ولقد كانت الأمّة العربيّة إلى وقت قريب رائدة في هذا المجال، إلاّ أنّها تخلّت عن أبحاثها شيئاً فشيئا، وكان من نتائج ذلك أن تأخّرت عن ركب الأمم الأخرى التي حملتْ مشعل العلم وأكملتْ أبحاثه؛ وبعد أن كنّا أساتذة الدنيا وسادتها أصبحنا اليوم تابعين للغرب الذي تطوّر بشكل عجيب وغريب بعد أن طوّر أبحاثه العلمية واهتمّ بلغته. ولا شكّ أنّ للبحث العلميّ منهجيّته، وأنّ لكلّ بحث مناهجه الخاصّة التي تُناسبه؛ ولقد فطن علماء الغرب في العصر الحديث إلى ذلك، فكان لهم السّبق حينئذ في الحضارة والتكنولوجيا والصّناعة والطبّ والإعلام والتميّز المعرفيّ، بعد أن كان لنا السّبقُ، نحن المسلمين، في القرون الخوالي؛ ولا غرابة في أنّ التمكّن من **منهجية البحث العلمي** سبب ذلك كلّه، إذ لا يُكتبُ للبحث النجاحُ إلاّ إذا كان قائماً على **منهج واضح وسليم**.

إنّ عنوان هذه المادّة يشمل **ثلاثة مصطلحات متباينة**، ولكلّ مصطلح مفهومه الذي يميّزه عن غيره، ولذلك كان لزاما على الباحث معرفة ماهيتها وخصائصها.

الدرس الأوّل: مفهوم المنهج.

1- المفهوم اللّغويّ.

يرجعُ هذا المصطلح (المنهج) إلى الأصل اللّغويّ (نهج)، وهي تعني في اللّغة العربيّة **الطريقَ الواسعَ المستقيم الواضح البيّن**، وقد تعني أشياء أخرى **كَحالة النّفَس المضطرب الذي يعلو الصّدر**، وقد تعني **الثّوبَ القديم البالي**؛ قال **الخليل بن أحمد الفراهيدي** (ت175هـ): «**طريقٌ نَهْجٌ: واسِعٌ واضِحٌ**، وطُرُقٌ نَهْجةٌ؛ و**نَهَجَ الأمرُ** و**أَنْهَجَ** لغتان، أي: وضح؛ و**مِنْهَجُ الطّريقِ: وَضَحُه**؛ و**المِنْهاج: الطّريقُ الواضِحُ**، قال: (وأَنْ أفوزَ بنُور أَستضيءُ بهِ *** أَمضي على سُنّةٍ منهُ ومِنهاج)؛ و**النَّهْجةُ: الرّبو** يعلو الإنسان والدّابة، ولم أسمعْ منه فعلاً؛ ويُقال للثّوب إذا بَلَيَ ولما يتشقّقْ: (قد **نَهَج** و**نَهِجَ** و**أَنْهَجَ**)، و**أَنْهَجَهُ البِلَى**، قال: (وكيف رجائي جدّة **النّاهج** البالي ***)»[1]؛ والملاحظُ في هذا التعريف أنّ **الخليل بن أحمد** لم يضع حدوداً فاصلةً بينَ **مصطلحَيْ المنهج** (بكسر الميم) و**المنهاج**.

ولم يبتعد ابن دريد (ت321هـ) عن هذه التعريفات كثيراً، غير أنّه أثبت مصطلح (**المَنهج**) بفتح العين لا بكسرها وجعل صيغة الجمع لها (**مَناهِج**)، وذكرَ بعض استعمالاتها الأخرى فقال: «**النَّهْج: الطريق الواضح**، والجمع **نهوج** و**نِهاج**، وهو **المَنْهَج**، والجمع **مَناهج**؛ و**أنهجَ الثوبُ يُنْهج إنهاجاً**: إذا **أخلقَ**، قال **أبو زيد**: (**نَهَجَ** و**أنهجَ**)، وأبى **الأصمعي** إلاّ **أنهجَ**؛ وضربتُ الرجلَ حتى **أنهجَ**، أي: **انبسط وألقى نفسه**»[2].

وأشار **الجوهريّ** (ت383هـ) إلى معنى **الوضوح والاستبانة والاتّباع**، فقال: «**النَهْجُ: الطريق الواضح**، وكذلك **المَنْهَجُ** و**المِنْهاجُ**؛ و**أَنْهَجَ الطريقُ**، أي: استبانَ وصار نَهْجاً واضحاً بَيّناً [...] و**نَهَجْتُ الطريق**: إذا أَبَنْتَهُ وأوْضحته، يقال: اعْمَلْ على ما **نَهَجْتُهُ** لك؛ و**نَهَجْتُ الطريق** أيضاً: إذا سلكته؛ و**فلان يَسْتَنْهِجُ سَبيلَ فلان** أي يسلك مسلكَهُ؛ و**النَهَجُ** بالتحريك: **البُهْر**[3] **وتتابعُ النَفَس**؛ و**قد نَهِجَ** (بالكسر) **يَنْهَجُ**، يقال: **فلانٌ يَنْهَجُ في النَفَس فما أدري ما**

---

(1) **كتاب العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي (أبو عبد الرحمن)**، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام-بغداد-الجمهورية العراقية، 1975م، مادة (ن هـ ج)، ص392/03-393.

(2) **جمهرة اللغة: ابن دريد (أبو بكر محمّد بن الحسن)**، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين-بيروت-لبنان، ط1، 1987م، مادة (ن هـ ج)، ص249/01-250.

(3) **البُهْرُ** بالضمّ هو: ما اتَّسَعَ من الأَرض؛ و**البُهْرَة**: الأرضُ السَّهْلَةُ؛ و**من المَجاز: البُهْرُ: انْقِطَاعُ النَّفَسِ من الإعياءِ**، وبالفَتْح مصدر بَهَرَه الحِمْلُ يَبْهَرُ بَهْراً، وقد **انْبَهَرَ** و**ابْتَهَرَ**: **أي تَتَابَعَ نَفَسُهُ**؛ يقال: **بُهِرَ** الرجلُ: إذا عَدَا حتى غَلَبَهُ البُهْرُ وهو الرَّبْوُ، فهو مَبْهُور وبَهِيرٌ؛ و**البُهرُ**: ما يَعْتَرِي الإنْسانَ عند السَّعْيِ الشديدِ والعَدْوِ من **النَّهِيج** وتَتَابُعِ النَّفَسِ. **يُنظر: تاج العروس من جواهر القاموس: مرتضى الزَّبيدي (أبو الفيض محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني)**، تحقيق: عبد الستّار أحمد فراج، سلسلة تصدرها وزارة الإرشاد والأنباء-الكويت، 1385هـ-1965م، مادة (ب هـ ر)، ص260/10.

أَنْهَجَهُ؛ وفي الحديث: (أنَّه رأى رجلاً **يَنْهَجُ**)، أي **يَرْبو من السِمَنِ ويَلْهَثُ؛** و**نَهَجْتُ الدابَّة:** سِرْتُ عليها حتَّى انْبَهَرَتْ»[1].

وجعل ابن سيدة (ت458هـ) مصطلحَيْ **المنهج** و**المنهاج** بمفهوم واحدٍ أيضاً، فقال: «**طريق نَهْجٌ: بيّن واضح** [...] و**الجمع: نَهْجاتٌ** و**نُهُجٌ** و**نُهُوجٌ** [...] و**سبيل مَنْهَجٌ**: كنَهْجٍ؛ و**مَنْهَجُ الطريق**: وضحه؛ و**المِنْهاج كالمَنْهَج**؛ وفي التنزيل: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً و**مِنْهاجًا**﴾؛ و**أَنْهَجَ الطريق**: وضح»[2].

أمّا المعجم الوسيط، فقد جاء فيه: «**النهج: البين الواضح**، يقال: طريقٌ **نهجٌ**، وأمرٌ **نهجٌ**، و**الطريق المستقيم الواضح**، يقال: هذا **نهجي** لا أحيد عنه، (ج) **نهجات** و**نهج** و**نهوج؛ النهجُ: الربو** وتواتر النَّفَس من شدة الحركة؛ **النهيج: النهج**»[3].

نستنتج من **التعريفات السّابقة لعلماء العربيّة القدامى** أنّ **مصطلحَيْ (المنهج والمنهاج)** تدلّان على **معنى لغويٍّ واحدٍ**، ولها الاستعمالات نفسُها في اللّغة العربيّة.

2- المفهوم الاصطلاحي.

أمّا من النّاحية **الاصطلاحيّة** فإنّ هذين المصطلحيْن **يجمعهما موضوعٌ واحدٌ** هو **البحث العلميّ**، ويبدوان و**كأنّهما مترادفان**، وقد يَصلُ هذا التداخلُ بينهما إلى **درجة اللّبسِ؛** إلاّ أنّنا إذا دقّقنا جيّداً في خصائص كلٍّ منهما، وفي إجراءاتهما، واستعمالاتهما في الدّراسات الأكاديميّة الحديثة، وفي المصطلحات الأجنبيّة التي تُقابلُهما، وفي أصولهما، نجد تلك الفروق الدقيقة التي تجعلُ **لكلّ مصطلحٍ منهما مجالَه الخاصّ وخصائصَه المميّزة.**

أ- المنهج: إنّ كلمة (**مَنْهَج**) هي الترجمة العربية للكلمة **الإنجليزية** (Method)، أو الكلمة **الفرنسية** (Méthode)[4]؛ ومن مشتقّاتها: (Méthodique): بمعنى **منهجيّ** (صفةٌ تُطلَقُ على **الشَخْص شَدِيد التَّمَسُّكِ بِالمَنْهَج** أو الذي **لَهُ مَنْهَجٌ يَسِيرُ عَلَيْهِ**)؛ (Méthodiquement): بمعنى **مُمَنْهَج** أي **على نحوٍ منهجيّ؛**

---

(1) **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: الجوهري (إسماعيل بن حماد)**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين-بيروت، ط4، 1407هـ-1987م، مادة (ن هـ ج)، ص346/01.

(2) **المحكم في اللّغة (المحكم والمحيط الأعظم في لغة العرب): ابن سيدة (أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي)**، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية-بيروت، 2000م، مادة (ن هـ ج)، ص171/04.

(3) **المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، ومُحَمَّد النجار**، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة للنّشر-القاهرة، (د.ط)، (د.ت)، مادة (ن هـ ج)، ص957/02.

(4) **يُنظر: معجم اللّسانية (فرنسي- عربي) مع مسرد ألفبائي بالألفاظ العربيّة: بسّام بركة**، منشورات جرّوس برس-طرابلس-لبنان، ط1، 1985م، مادة (Méthode)، ص131.

و(Méthodologie): بمعنى **مَنْهَجِيَّة**؛ وتعود كلّها إلى **الأصل اليوناني** (Methodos)[1] الذي يتألف من شطريْن اثنين هما (Meta) التي تعني (**بُعْد**) و(hodos) بمعنى (**طريق**)[2]؛ و(**بُعْد**) في اللّغة العربيّة تأتي بمعنى **الحدّ والعمق والاتّساع والامتداد**، جاء في **المعجم الوسيط**: «**أبعد**: فلان تنحى بعيدا وجاوز **الحدّ** [...] **البُعد**: **اتّساع المدى**؛ [...] وقالوا: (إنه لذو **بعد**): ذو رأي **عميق** وحزم؛ [...] **البعيد**: **المتنائي**»[3]، وبذلك يكون معنى (Methodos) **هو الطريق المحدَّد الواسع الممتدّ**، وهي المعاني نفسها التي تدلّ عليها كلمة (**منهج**) في اللّغة العربيّة.

ويُمكنُ تعريف (**المنهج**) بأنّه:

"الطريق الذي يسلكه الباحث، فيرسم له الخطوات العقلية التي يتبعها وِفْقَ قواعد وقوانين معيّنة، ويحدّدُ له الأدوات والتقنيات والإجراءات التي يستعينُ بها من أجل الوصول إلى الحقيقة العلمية".

إنّ هذا التعريف يشمل **ثلاثة عناصر رئيسة**، هي:

- **الخطوات العقلية**: والمقصود بها **خطوات التفكير العلمي** التي تقوم على أساس **الملاحظة والتجريب، وأساليبه** التي تقوم على أساس **الاستقراء والاستنباط**؛
- **الأدوات** و**التقنيات**: وهي تلك التي تقع على مستوى **التعامل المباشر مع الوقائع**، فهي تمثل **إجراءات ملموسة ترتبط** بالواقع المدروس مباشرة، وتتحدّدُ تلك الأدوات وتقنياتها بنوع **المنهج المتّبع**؛ والحقيقة أنّ بين مُصطلحَيْ **الأداة** و**التقنية** تداخلٌ كبير أدّى في كثيرٍ من الأحيان إلى نشوء **غموض والتباس** لدى الكثير من الطلبة والباحثين؛ ويُمكنُ وصف **العلاقة** بينهما **بالتكامليّة؛ فالأدوات** هي تلك **الوسائل التي تُساعد الباحث في الحصول على المعلومة أو المادّة العلميّة**، ومنها مثلاً: **القراءة** و**المقابلة** و**الاستبيان** و**التقميش** وغير ذلك؛ أمّا **التقنيات** فهي **طرائق وكيفيات استغلال تلك الأدوات، فالقراءة** لها طرائقها، و**الاستبيان** له طرائقه، وكذلك **التقميش** و**المقابلة، ورسم خطّة البحث** تحتاج إلى **تقنيّات معيّنة**، وكذلك الحال بالنّسبة **لصياغة العنوان** و**الإشكالية** وغير ذلك؛ ولا يتحقَّقُ **الاستغلال** الأمثل **لأدوات** البحث التي يفرضها **المنهج** و**طبيعة الموضوع** إلاّ بالقدرة على تحديد **التّقنيات** المناسبة لها؛ ويُمكننا القول هنا أنّ مفهوم **التقنيات** يتشابك إلى حدٍّ كبيرٍ مع مفهوم **الإجراءات** المعمول بها في البحث العلميّ.

---

[1] **يُنظر**: **مناهج البحث العلمي**: **عبد الرحمن بدوي**، وكالة المطبوعات-الكويت، ط3، 1977م، ص02.

[2] **يُنظر**: **مناهج البحث الأدبي**: **يوسف خليف**، دار الثقافة للنّشر والتّوزيع-القاهرة، 1997م، ص18.

[3] **المعجم الوسيط**: **إبراهيم مصطفى وآخرون**، مادة (ب ع د)، ص63/01.

فالمنهج، إذًا، يشملُ **الأساليب** و**الأدوات** و**التقنيات**، **وبالمنهج** يتحدّد **الأسلوب** وتتحدّد **الأدوات** و**التقنيات** التي من شأنها أن توصل الباحث إلى مبتغاه، وعلى قدر ما كان اختيار **المنهج دقيقاً** وموفّقاً، على قدر ما تكون الدقّة في اختيار **الأسلوب** المناسب و**الأدوات** و**التقنيات** المناسبة للوصول إلى نتائج علميّة دقيقة؛ وإنّما تختلف **المناهج** في هذه **العناصر الثلاثة** (**الأسلوب** و**الأدوات** و**التقنيات**)، **فالمنهج التاريخي** يختلف عن **المنهج الوصفي** الذي يختلفُ بدوره عن **المنهج المقارن** وهكذا.

ب- **المنهجيّة**: إنّ مُصطلح (**المنهجيّة**) المشتقّ من مادّة (**نهج**) مصطلحٌ **حديث النّشأة**، يُقابله في اللّغة **الإنجليزيّة** مصطلح (Methodology) وفي **الفرنسية** (Méthodologie)؛ وهي كلمة مركّبة من **جزأين**، هما: **منهج** (Méthode) التي تعني **الطريقة الواضحة**؛ واللاحقة: **ية** (Logie) بمعنى **العلم**؛ وبذلك يكون معناها: "**علم المنهج**" أو "**علم المناهج**"، أي **العلم الباحث في المناهج**، أو **العلم الباحث في الطرق المستخدمة في العلوم للوصول إلى الحقيقة**[1]، فهو يحدد **الشكل العام للمناهج**، و**الطريقة التي تكوَّن بها أي منهج**؛ أيْ أنّ **المنهجيّة** علمٌ و**مادّةُ** ذلك العلم هو **المنهج**، كقولنا (**الألسنيّة**) بمعنى **علم اللّسان**.

وبذلك يكون مفهوم (**المنهجية**) الاصطلاحي، هو:

"العلم الذي يُعنى بالمناهج من حيث التعريف بها وتطوّرها وتطويرها وتحديد أنواعها وأهدافها وخطواتها وأساليبها وأدواتها وتقنياتها، وكلّ ما من شأنه مَنْحَ الباحث القدرة على الاختيار الأمثل للمنهج الذي يُناسبُ بحثه".

ولقد شهد **علم المناهج** تطورا ملحوظاً، كمًّا وكيفاً، تماشياً مع التطور العلمي وتعدّد المناهج بتعدد الاختصاصات العلمية، وأُلّفت كتُبٌ وأبحاثٌ كثيرة في هذا المجال بعنوان **المنهجيّة**، إلاّ أنّها كثيراً ما كانت تُغلّبُ جانباً من جوانب المنهجية على جوانبَ أخرى، لأسبابٍ وعواملَ متعدّدة كالالتزام بتخصّص المؤلِّف، أو مراعاة حاجيات الفئة المستهدفة، أو غير ذلك؛ وأستطيعُ القول أنّي، وفي حدود مطالعتي المتواضعة في هذا المجال، لم أجدْ مؤلَّفاً شاملاً كافياً شافياً مفصّلاً جامعاً لمتفرّقات هذا العلم وموحّداً مُوَفِّقاً للمتناقضات التي وُجِدت في هذه المؤلَّفات، ولعلّ هذا مردّه إلى أنّ **المناهج في تطوّرٍ مستمرّ**، وأنّ المسلّم به هو أنّ **العلوم المختلفة تستقلّ عن بعضها في اختيار المنهج المناسب** إلاّ أنّها قد تشترك في مناهج معيّنة وِفقَ ظروفٍ خاصّة تقتضيها طبيعة البحث وموضوعه، وقد يكون **المنهج** واحداً في العلم

[1] **يُنظر: مناهج البحث العلمي: عبد الرحمن بدوي**، ص ص06 و07.

والموضوع نفسه إلاّ أنّ الأدوات والتقنيات تختلف من باحثٍ لآخر، وبذلك كانت الصّعوبة في وضع قاعدة واحدة مطلقة يسير عليها الباحث أيّاً كان موقعه وأيّاً كان مجال بحثه، ويكتفي هذا **العلم** بأن يأتي **بقواعد عامّة للعلوم كلّها**[1].

والجدير بالذّكر أنه قد شاع استعمال كلمة **منهجية** بمعاني مختلفة لا تتوافق في الغالب و**المعنى العلمي الدقيق لها**، فكثيرا ما نستعمل عبارة (**منهجيّة التدريس**) ويكون المقصود بها **مجموعة القواعد المتّبعة أو الوسائل المستعملة لتحقيق غايات التدريس**[2]؛ أو عبارة (**منهجيّته في تلك الدّراسة هي كذا**) والمقصود هنا **منهجُه في تلك الدّراسة**؛ أو عبارة (**منهجيّته في القراءة**) والمقصود وَصفُ طريقته في القراءة من حيثُ احترام **الخطوات المتدرّجة لفهم النصّ وإدراك محتواه وعناصره اللّغويّة**[3]؛ أو عبارة (**منهجيّتُه في الكلام** كذا)، أو (**منهجيّتُه في البحث** كذا)، بمعنى **طريقتُه في الكلام**، و**طريقته في البحث**، أيْ **تحديد ووصف الكلام أو البحث** من حيث **الإبانة والوضوح والترتيب** و**التسلسل** وغير ذلك؛ وبهذا نلاحظُ أنّ مصطلَحيْ **المنهج** و**المنهجيّة** كثيراً ما تتداخلان مع بعضهما، فيُستعملُ الأوّل بدل الثاني أو العكس، لذا وجبَ تحرّي الدقّة في الاستعمال.

ج- **المنهاج**: أمّا مصطلح (**المِنْهاج**) فالملاحظ من التعريفات اللّغويّة السابقة أنّه **مرادفٌ** لكلمة **المنهج**؛ إلاّ أنّ استعمالاته الاصطلاحيّة تبيّنُ أنّه أخصُّ من المصطلحين السّابقين، ويُقابلُه باللّغة الأجنبيّة مصطلح (Curriculum)[4]؛ فالملاحظُ أنّه يُستعملُ بكثرة في مجال التعليم.

عرّف **صالح بلعيد** (**المِنْهاج**) بأنّه:[5]

"خطّة عمل تتضمّنُ الغايات والمقاصد والأهداف والمضامين والأنشطة التعليميّة، ثمّ طرائق التعليم وأساليب التّقويم".

ثمّ ذكر **صالح بلعيد** مصطلحين متقاربين في مجال التعليم وهما **المِنهاج** (Curriculum) **والبرنامج** (Programme)، واعتبر الأوّل أعمّ من الثاني، على اعتبار أنّ **البرنامج** جزءٌ من **المِنهاج**، وبذلك يكون **البرنامج محتوى** لا **كيفيّة**، بينما **المِنهاج يشمل** المحتوى والكيفيّة **معاً**، فقال: «**المنهاج** هو: **المقاصد** و**الغايات الكبرى** و**الوحدات**

---

(1) **يُنظر: مناهج البحث العلمي: عبد الرحمن بدوي**، ص07-09.

(2) **يُنظر: في المناهج اللّغويّة وإعداد الأبحاث: صالح بلعيد**، دار هومة للطّباعة والنّشر والتّوزيع-الجزائر، 2013م، ص16.

(3) **يُنظر: نفسه**، ص17.

(4) الحقيقة أنّ مادّة (Curriculum) هي في الأصل كلمة **إنجليزيّة** استعارتها **اللّغة الفرنسية**، وإذا ما نظرنا إلى تعريفها باللّغة **الفرنسية** وجدناها تدلّ على معنى **مسيرة حياة أو طريقة حياة، ولها علاقة بالحالة المدنية** و**الدراسية** و**المؤهّلات المهنية** لشخصٍ من الأشخاص، يُنظر: (**Le petit Larousse illustré 1984**, Librairie Larousse-Paris, 1980, (Curriculum), P.912).

(5) **في المناهج اللّغويّة وإعداد الأبحاث: صالح بلعيد**، ص13.

المتكاملة في موضوع من المواضيع، ويُعوَّلُ عليه في **تصميم السّياسة اللّغويّة** في ميدان التربية، باعتباره **ينظر إلى الأطر الكبرى التي يدور ضمنها برنامج التدريس** فهو **محتوى لا كيفية**»[1]؛ واعتبر أنّ **نظريّة المنهاج** هي مجموعةٌ من **الاقتراحات** و**المبادئ** و**التوصيّات** القادرة على **توصيف** ما يُمكنُ أن يكون عليه **المِنهاج** من **محتوى** و**تصميم** و**تطويرٍ** و**تنفيذ**.

وبذلك يكون **البرنامج** بمعنى **المقرّر** الذي **يضمّ مجموعة من المعارف** موجّهةً لفئة معيّنة من الطلبة وفي مرحلةٍ معيّنة من مراحل الدّراسة، مصحوبة بإشارات منهجية وتعليمات موجزَةٍ حول طريقة التدريس؛ أيْ أنّه جزءٌ من **المِنهاج** الذي يضمّ مع هذا **البرنامج** بيانات أخرى تحدّد **الغايات التربويّة والنّشاطات التعليميّة**، و**تعليمات** دقيقة **لكيفية تقويم التّعليم** أو **التعلّم**؛ ولا زالت **المناهج** التعليمية والتربويّة في تطوّرٍ مستمرٍّ إلى يومنا هذا بسبب التطوّر التكنولوجي وتطوّر طرائق التعليم وكذا تطوّر علوم اللّسان والعلوم المساعدة كعلم النّفس وعلم الاجتماع.

والملاحظ أنّ مفهوم **المنهاج** يشتركُ مع **المنهج** في أنّهما بمثابة **الطريق التي يسلكها الفرد لتحقيق أهدافٍ معيّنة**؛ وينفصلان في أنّ **المِنهاج** أخصّ من **المنهج**، **فمجال المِنهاج** هو **العمليّة التربويّة التّعليميّة**، كما أنّ **المنهاج** لا غنى له عن **المنهج**، بينما قد يستقلُّ الثاني عن الأوّل، فالحاجة ماسّة إذاً إلى **معرفةٍ دقيقة بالمنهجيّة العلميّة** ليتحقّق **المنهاج** ويُحقِّقَ أهدافه.

والجدير بالذّكر هنا أيضاً ضرورة التقيّد الدقيق بالاستعمال الصّحيح لهذه المصطلحات، فكثيراً ما تُستعملُ كلمة **منهج** بدل كلمة **المنهاج**، على نحو ما يحدثُ لعبارة (**المنهج الدراسي**) المتداولة في **الحقل التربوي** والمقصود بها هو (**المنهاج الدّراسي**)؛ أو ما شاع في أوساط **الموظّفين** والإداريّين باستعمالهم كلمة **المنهج** بمعنى **الصّيغة** (Formule)؛ أو بمعنى **النّظام** (Système) أو (Discipline)، كعِبارة (**منهج العمل**) وهم لا يَعْنون **بالمنهج** ذلك المصطلح العلمي الدقيق، وإنّما يقصدون به (**نظام العمل**).

وهكذا تقاطعت **ثلاثة مصطلحات** في اللّغة العربيّة وهي (المنهَج؛ المنهجيّة؛ والمنهاج) مثلما تداخلت **ثلاثة مصطلحات** تُقابلها في اللّغة الأجنبية، وهي (Méthode, Méthodologie, Curriculum)؛ إلاّ أنّ الفرق بينها دقيقٌ.

[1] **في المناهج اللّغويّة وإعداد الأبحاث: صالح بلعيد**، ص14.

الدرس الثاني: حول ظهور المنهج.

لقد استطاع **عبد الرحمن بدوي** (ت2002م)، المتمرّس والمتمكّن من الفلسفة اليونانية[1] والغربيّة، أن يحدّد ماهية هذا المصطلح عند علماء الغرب وكيفية تطوّره؛ فذكر مراحل متعاقبة متباينة، أوجزُها في العناصر **الأربعة** الآتية:[2]

- **المرحلة الأولى:** تميّزت هذه **المرحلة** بأنْ كان **المعنى الاشتقاقي الأصلي** لهذه الكلمة اليونانية هو: «**الطّريق أو المنهج المؤدّي إلى الغرض المطلوب خلال المصاعب والعقبات**»[3]؛ وقد استعملها **بعض الفلاسفة اليونان كأفلاطون** (Platon) (ت347ق.م) وتلميذه **أرسطو** (Aristote) (ت322ق.م)، وكانوا يعنون بها **البحث** أو **النظر** أو **المعرفة**[3]؛
- **المرحلة الثانية:** حيث تطوّر مفهوم هذا المصطلح في **عصر النّهضة الأوروبيّة** ليدلَّ على أنّه «**طائفة من القواعد العامّة المَصوغَة من أجل الوصول إلى الحقيقة في العلم**»[3]؛ وأهمّ الّذين أثاروا هذا المفهوم **للمنهج** هم **المناطقة** أمثال: الفيلسوف **الفرنسي راموس** (Petrus Ramus) (ت1572م)؛ والفيلسوف الرياضيّ **البرتغالي نونيث** (Pedro Nunes) (ت1578م) والفيلسوف **الإيطالي زبرلَّه** (Jacopo Zabarella) (ت1589م)؛ و**الإسباني مولينا** (Luis de Molina) (ت1600م)؛ و**الفرنسي أوستاش دي سان بول** (Eustache de saint-Paul) (ت1640م)، الذين اعتبروا **المنهج** جزءًا من أجزاء **المنطق**[4]، و**لم يهتمّوا بالملاحظة والتّجربة إلى درجةٍ كافيةٍ**؛
- **المرحلة الثالثة:** تميّزت هذه **المرحلة** بأن **اتّضح** مفهوم **المنهج** أكثر مع علماء وفلاسفة كبار، كان لهم الفضل في تغيير منحى البحث العلمي اعتمادا على الملاحظة والتجربة، ومن أهمّ هؤلاء العلماء:

---

(1) **كادت هذه الفلسفة أنْ تُبعده عن الفطرة الإنسانية وعن العقيدة الإسلامية الصحيحة**، إلاّ أنّ تمكّنه من تلك الفلسفة وسبره لأغوارها مكّناه من إدراك حقيقتها وتحديد صحيحها من سقيمها، وسرعان ما أخذَ بالصّحيح السّليم منها وأبعَدَ وحذَرَ من السقيم العليل. **يُنظر: عبد الرحمن بدوي- مذهبه الفلسفي ومنهجه في دراسة المذاهب- عرض ونقد: عبد القادر بن محمّد الغامدي**، مكتبة الرّشد ناشرون-الرّياض، ط1، 1429هـ، ص190/2.

(2) **يُنظر: مناهج البحث العلمي: عبد الرحمن بدوي**، ص03-06.

(3) **نفسه**، ص03.

(4) **يُنظر: نفسه**، ص03.

- **بيكون** (Francis Bacon) (ت1626م): العالم والفيلسوف **الإنجليزي** الذي حدّد **قواعد المنهج التجريبي** الذي يقوم على أساس **الاستقراء** مُخالفاً **منهج أرسطو** الذي يقوم على أساس **القياس**، فكان بذلك **رائد الفكر العلمي الحديث**[1]؛
- **جاليليو** (Galileo Galilei) (ت1642م): العالم الرياضيّ **الإيطالي** الذي فطن إلى **وظيفة الرياضة في العلم الطبيعي**، وكان اعتماده على **الرياضة** سبباً في تقدّم **العلوم التجريبية**، وهو أوّل من **استخدم الملاحظة والتجربة في التحقّق من صدق الفروض الرّياضية**، فكان منهجه رياضيّاً يبدأ بوضع بعض **الفروض** التي يتخيّلها في صورة رياضية ثمّ يستنبط منها **النتائج** ثم **يتحقّقُ** من صدق تلك النتائج بطريقة **تجريبيّة**[2]؛
- **ديكارت** (René Descartes) (ت1650م): الفيلسوف الرياضي **الفرنسي**، **واضعُ الهندسة التحليلية**[2] الذي حاول أن يكتشف **المنهج** المؤدّي إلى **حسن السير بالعقل في البحث عن الحقيقة في العلوم**، وهو **المنهج الرياضيّ** الذي يصلح **لجميع أنواع العلوم مهما اختلفت موضوعاتها** على عكس القياس الأرسطي، وأساس الفلسفة **الديكارتية** هو **الشكّ المنهجيّ**[3]؛
- **مَناطقة مدرسة بور رويال** (Port Royale) الفرنسية أمثال: **أنطوان أرنولد** (Antoine Arnauld) (ت1694م) و**بيير نيكول** (Pierre Nicole) (ت1695م) الذين **حدّدوا المنهج بشكل واضحٍ**، وعرّفوه بأنّه: «**فنّ التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة، إما من أجل الكشف عن الحقيقة حين نكون بها جاهلين، أو من أجل البرهنة عليها للآخرين حين نكون بها عارفين**»[4]؛

المرحلة الرابعة: حيثُ تُوّجَتْ تلك الجهود **بمفهوم اصطلاحيٍّ جديدٍ للمنهج، يجمعُ بين المنحى التجريبي** الذي جاء به **بيكون** (Francis Bacon) و**المنحى الرياضي الاستدلالي** الذي جاء به **مناطقة مدرسة بول رويال** (Port Royale)؛ وهو المفهوم نفسه المتداولُ في **عصرنا الحديث**، الذي يُعرّفُ **المنهج** بأنّه: «**الطريق المؤدّي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم، بواسطة طائفة من القواعد العامّة تهيمنُ على سير العقل وتحدد عملياته حتى**

---

(1) **يُنظر: مناهج البحث الأدبي: يوسف خليف**، ص23.
(2) **يُنظر: نفسه**، ص26.
(3) **يُنظر: نفسه**، ص26-27.
(4) **مناهج البحث العلمي: عبد الرحمن بدوي**، ص05.

يصل إلى نتيجة معلومة»[1]؛ وقد عرّف **علي عبد الواحد وافي** في **مناهج البحث** بأنّها: «**الطرق التي يسير عليها العلماء في علاج المسائل والتي يصلون بفضلها إلى ما يرمون إليه من أغراض**»[1].

والملاحظ في هذه المراحل التي ذكرها **عبد الرحمن بدوي** أنّه أغفل مرحلة القرن **الثالث عشر الميلادي**، حين برز العالم والفيلسوف **الإنجليزي روجر بيكون** (Roger Bacon) (ت1292م) وبدأ بمهاجمة المنطق الأرسطي ودعا إلى **التجربة العلميّة**، وكان أوّل عالم من علماء الغرب الذي استعان **بأسلوب الاستقراء** في أبحاثه[2]، واعتبر بأنّ **الرياضيات هي المفتاح الرّئيس لأي بحث علمي**، وقد ساعده تخصّصه في **علم البصريات** على ذلك، وبذلك يكون **روجر بيكون** قد أرسى القواعد للثورة العلمية التي ظهرت في أوروبا في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين؛ إلاّ أنّ جهوده لم يُكتب لها النّجاح بسبب **هيمنة الكنيسة والفكر الأرسطي** في ذلك العصر.

والجدير بالذكر هنا أنّ **المفهوم الصحيح للمنهج**، قد سبق هذه العصور بكثير، حيث يُجمع المنصفون من العلماء والباحثين أنّ **مرحلة العصر الإسلامي** التي بدأت بحلول **القرن السّادس للميلاد** والتي تميّزت بالحضارة الإسلامية العظيمة، **كان لها السبق في توظيف المنهج في الأبحاث العلميّة**، حيث كان لعلماء ذلك العصر **طرائقهم الخاصّة في مناحي التّفكير**؛ والأكيد أنّها قد **مهّدت الطّريق لمناهج العلم الحديثة في أوروبا**[3]، بل إنّ **روجر بيكون** (Roger Bacon) نفسه قد درس علوم العرب وتأثّر بمناهجهم، وكان تأثّره أكثر بأعمال الفيلسوف الطبيب المسلم **ابن سينا**[4].

ولقد **فطن علماء العربيّة قديماً** إلى **الخلل الذي يعتري المفهوم الأرسطي للمنهج العلمي**، ونبّهوا إليه منذ القرون **الهجريّة الأولى**، أيْ قبل عصر النّهضة الأوروبيّة، حيث عَرَفوا أنّ مشكلة الإنسان **ليست مشكلة عقليّة محضة** يُمكنُ حلّها بوضع قواعد لتنظيم عمليّة التّفكير، بل هي مشكلة متعلّقة بالنّفس البشريّة نفسها، ولا يُمكنُ حلّها إلاّ بالبحث عن السّبل التي تُسهم في إبعادها عن **الوقوع في الخطأ** وعن **الزّلل في التفكير**[5]؛ ولذلك نجد أنّ **عبد الرحمن بدويّ** ينتقد **مفهوم المنهج الذي حدّهُ مناطقة مدرسة بور رويال** (Port Royale) ووصفه بأنّه **ناقصٌ**، فقال: «والملاحظ على

---

(1) **علم اللّغة: علي عبد الواحد وافي**، نهضة مصر للطّباعة والنّشر-القاهرة، ط9، 2004م، ص34.

(2) **يُنظر: البحث الأدبي (طبيعته، مناهجه، أصوله ومصادره): شوقي ضيف**، مكتبة الدّراسات الأدبيّة (64)، دار المعارف-القاهرة، ط7، 1992م، ص83.

(3) **يُنظر: البحث الأدبي (طبيعته، مناهجه، أصوله ومصادره): شوقي ضيف**، ص83.

(4) **يُنظر: العرب والحضارة الأوروبية: محمود العقاد، نقلاً عن: منهج البحث الأدبي واللّغويّ: الرديني (محمّد علي عبد الكريم) وعبود (شلتاغ)**، دار الهدى-عين مليلة-الجزائر، 2010م، ص34.

(5) **يُنظر: المنطق الإسلامي-أصوله ومناهجه: محمّد تقيّ المدرسي**، ص187. **نقلاً عن: منهج البحث الأدبي واللّغويّ: الرديني (محمّد علي عبد الكريم) وعبود (شلتاغ)**، ص33.

هذا **التعريف للمنهج**[1] أنّه ناقصٌ، إذْ هو لا يكادُ **يتحدّثُ إلاّ على الأفكار، لا عن الوقائع والقوانين**، وما هذا إلاّ لأنّهم عنوا **بالمنهج الرياضي الاستدلالي**[2] دون **المنهج التجريبي أو التاريخي، ولذلك لا نرى في حديثهم كلاماً** عن **العلوم الفيزيائية**، بل اقتصر الأمر تقريباً على **الرّياضيات والهندسة** بوجهٍ خاصّ»[3].

ونخلُصُ من هذا كلّه إلى أنّ **المنهج** بمفهومه العامّ هو: **الطريق الذي يسلكه الباحث، فيرسم له الخطوات العقلية التي يتبعها وِفْقَ قواعد وقوانين معيّنة، ويحدّدُ له الإجراءات التي يقوم بها وكذا الأدوات والتقنيات التي يستعينُ بها من أجل الوصول إلى الحقيقة العلمية. والجدير بالذّكر هنا أنّ الحقائق العلمية ليست ثابتة**، بل هي **قابلة للتعديل والتغيير**، إلاّ أنّها **حقائق** بلغت **درجة عالية من الصدق**؛ و**المنهج** بهذا المفهوم **حديث النّشأة**، وهو مفهوم تحقّق بفعل **مجهودات** و**تضحياتٍ** جبّارة **لعلماء الغرب**، وصلت إلى حدّ **الاضطهاد الجسديّ** و**النّفسيّ**، على غرار ما حدث للعالم **الإيطالي جاليليو** (Galileo Galilei) في مواجهة **رجال الكنيسة الغاضبين** على **نتائج منهجه** آنذاك. وعلى الرّغم من حداثة **المفهوم** لهذا **المصطلح**، إلاّ أنّ **الوعي المنهجيّ** بهذه الصّورة قد توفّر في **الثقافة العربيّة** منذ **القرون الهجريّة الأولى**، كما ذكرتُ، حيثُ قامت على أساسه **مؤلّفات عديدة** في **علوم كثيرة، بحثاً** و**جمعاً** و**ترتيباً** و**تبويباً**؛ فقد اعتمد علماءُ العربيّة القدماء على **المناهج العلمية المختلفة** من **دون أن ينعتوها بمسمّياتها** كما هو الحال في الدّراسات الحديثة[4]؛ ولذلك جاءت مُعظمُ دراساتهم **بيّنةً واضحة مرتّبة منظّمة في أفكارها وتقسيماتها**، وهي **النتائج** نفسُها التي **يهدفُ المنهج العلمي إلى تحقيقها** مع **توفير الجهد والوقت للباحث**.

الدرس الثالث: المنهج في التراث العربي.

إنّ **العلم مهما كان ميدانه**، لغويّاً أم غير لغويّ، **منهجٌ** قبل أن يكون **نتاجا أو مضمونا**، وقد رأينا في الدروس السّابقة **أهمية المنهج** في مجال **العلوم** كلّها، حيثُ أنّه **يسهم في التنظير للفكر**، فهو **الأساس للبناء النظري**؛ ولكل نوع من العلوم طبيعتُه التي تُميّزه، ولكلّ **علم مناهجه** الخاصّة التي يسير عليها لدراسة المشكلة القائمة، **فمنهج البحث هو**

---

(1) **هو التعريف** الذي ذكرتُه في **المرحلة الثالثة** من مراحل تطوّر مفهوم **المنهج** عند حديثي عن **مناطقة بور رويال. يُنظر: الدرس الثاني (حول ظهور المنهج)**، ص09.

(2) **وهو يقصدُ** هنا **الأسلوب** لأنّ **الاستدلال أسلوب تفكير** قبل أن يكون **منهجاً**.

(3) **مناهج البحث العلمي: عبد الرحمن بدوي**، ص05.

(4) **يُنظر: منهجيّة البحث العلمي للجامعيّين: صلاح الدّين شروخ**، دار العلوم للنّشر والتّوزيع-عنّابة-الجزائر، 2003م، ص93-94.

طريقة موضوعية يتبعها الباحث لدراسة ظاهرة من الظواهر بقصد تشخيصها وتحديد أبعادها ومعرفة أسبابها وطرق علاجها والوصول إلى نتائج عامة يمكن تطبيقها.

إنّ **الحضارة الغربية الراهنة** لم تصلْ إلى ما وصلت إليه إلاّ باستخدامها **منهج البحث العلمي** كوسيلة للتفكير، وإنّ بعض المناهج العلميّة تشترك جلّ العلوم في استعمالها والإفادة منها؛ بل من المؤكّد أنّ ما تزخر به مكتبات العالم من آثار ومخطوطات ومؤلّفات، العربيّة منها وغير العربيّة، والذي يعود بعضه إلى عشرات بل مئات القرون، كان الأساسُ في قيامه وظهوره وإنتاجه هو **طريقة النّظر لتحصيله**، فالأكيد أنّ علماء تلك الأمصار قد اعتمدوا في تحصيل ذلك على **التأمّل بالعقل**، وإنّ **طريقة النّظر** تلك تختلفُ من عصر إلى عصرٍ ومن مصر إلى مصر؛ يقول **عبد الرّحمن الحاج صالح**: «إنّ **طريقة النّظر لتحصيل العلم تختلف من قومٍ إلى قومٍ ومن زمان إلى آخر**، ولكلّ قومٍ وكلّ زمان تصوّرٌ ومنظورٌ أو أكثر من منظور؛ وقد لاحظ المؤرّخون للعلوم والصّنائع أنّ بعض الحضارات في القديم تميّزت عن غيرها بمعرفتها **لطرائق علميّة مارستها بالفعل منذ زمان قديم** كالمصريّين والبابليّين والفينيقيّين والهنود وأهل الصّين واليونان والمايا في أمريكا والعرب وغيرهم؛ وقد توسّع المؤرّخون للعلوم في إحصاء **كلّ الوسائل العقليّة التي عُرِفت واستُخدِمت عبر العصور** وحلّلوها تحليلاً دقيقاً وأثبتوا كيفية تطوّرها على ممرّ الزّمان»[1].

ولقد أقام **العرب حضارة عظيمة** لم يشهد لها التاريخ مثيلاً، ومن المؤكّد أنّ **ازدهار الحياة الفكريّة** عندهم لم يَكن وليد المصادفة أو اللاّوعي، بل لا بدّ وأن يكون هؤلاء العلماء قد لجأوا في أبحاثهم العلميّة، اللّغويّة وغير اللّغويّة، إلى وسائل تحليلية منطقيّة تعتمد على **الملاحظة الدّقيقة والتجربة العلميّة والفهم السّليم**؛ يقول **يوسف خليف**: «ليس من اليسير أن نتصوّر أن **تزدهر الحياة الفكريّة عند العلماء المسلمين** ذلك الازدهار الرّائع الذي شهدته المراكز الثّقافيّة منذ **القرن الثاني للهجرة** من غير **اصطناعٍ لمناهج علميّة ثابتة تحدّد طرق البحث للعلماء، وترسم لهم خطواتهم، وتُقَوِّمُ ما اعوجّ منها**؛ ولكن ليس من اليسير أيضاً أن ندّعي أنّ هؤلاء العلماء وضعوا علماً لمناهج البحث في مفهومه العلميّ الدّقيق الذي اصطَلحَ عليه العلماء منذ عصر النّهضة الأوروبيّة»[2]؛ وإذا كان العلماء في عصر النّهضة الأوروبيّة قد وضعوا أسس المناهج العلميّة وقواعدها التي أحدثت ثورة كبيرة في مجال العلم والمعرفة؛ فإنّ علماء العربيّة قد **وظّفوا ذلك في أبحاثهم قبل ذلك العهد بقرون**؛ إذْ أنّهم **لم يبتعدوا عن أصول منهج البحث العلمي الحديث كثيراً**، لا من حيث الإطار الفكري الذي يعمل من خلاله العقل، ولا من حيث الخطوات التّطبيقيّة، إذْ نُلفيهم قد استعانوا **بالاستقراء والاستنباط** كأسلوبَيْ

---

[1] **منطق العرب في علوم اللّسان: الحاج صالح (عبد الرحمن)**، موفم للنّشر-الجزائر، 2012م، ص07.

[2] **مناهج البحث الأدبيّ: يوسف خليف**، ص67.

تفكيرٍ وبحثٍ، عُدّتهم في ذلك **الملاحظة** الدّقيقة الواعية، وأخضعوا كلّ ذلك **للتجريب**[1]، ولذلك جاءت دراساتهم اللّغويّة أكثر دقّةً وتماسكاً من غيرهم من الأمم.

وإنّ نظرةً مُمْعِنَةً في أبحاثهم تدلّنا على أنّهم قد **وظّفوا المناهج المعتمدة اليوم في الأبحاث العلميّة**[2]، وأكثر المناهج وضوحاً في أبحاثهم هو **المنهج الوصفي**، ثمّ المنهج **التاريخي**، وقلّما استعانوا بالمنهج **المقارن**[3]، ونادراً ما كانوا يلجؤون إلى **المنهج التقابلي**[4]، غير أنّهم لم يُسمّوها بهذه الأسماء ولم يَصِفوها بالوصف الذي جاء به العلم الحديث.

وإذا كان العلماء المعاصرون قد أيقنوا أنّ مناهج البحث العلميّ واللّغويّ هي مناهج متكاملة لا يُناقض بعضها بعضاً، فإنّ علماء العربيّة الأوائل كانوا على وَعيٍ كاملٍ بذلك، فكثيراً ما كانوا يُوظّفون في العلم الواحد وفي البحث الواحد منهجين أو ثلاثة؛ إلاّ أنّ **المنهج** الذي نال **حظّاً وافراً** في أبحاثهم هو **المنهج الوصفيّ**.

إنّ الحديث عن **مناهج البحث العلميّ** عند **العرب** يقتضي الحديث عن مراحل هذا النّوع من البحوث؛ وإنّ نظرة مُمعنة في التراث اللّغويّ العربيّ تجعلنا نُشبّه **مراحل تطوّر البحث العلميّ** بمراحل **حياة الإنسان** الذي يمرّ بمرحلة الولادة؛ ثمّ الطفولة؛ ثمّ مرحلة الشباب والقوّة؛ ثمّ الكهولة؛ ثمّ الشّيخوخة؛ ثمّ الممات؛ فالانبعاث؛ قال **الله تعالى**: ﴿**اللهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ (54) وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ (55)**﴾[5]؛ وكذلك هي **مراحل البحث العلميّ عند العرب**، وُلِدَ مع مجيء الإسلام، فمرّ بمرحلة الطّفولة في القرن الهجريّ الأوّل، ثمّ عصر القّوة والازدهار في القرون الستّة الهجريّة الأولى، ثمّ بدأ يخفتُ شيئاً فشيئاً لأسباب عديدة، ثمّ أصابه الوهنُ والضّعفُ وكادَ أن يموتَ، لابتعاد أهله عن مقوّمات ومبادئ المنهج العلمي في أبحاثهم، وهي مقوّمات من شأنها أن تبعث الروح والحياة للبحث عندهم؛ والحقيقة أنّ هذه هي سُنّة **الله** في خلقه، وهذه هي طبيعة العلوم كلّها؛ يقول **محمّد المختار ولد ابّاه**: «حينما نبحثُ في

---

(1) **يُنظر: مناهج البحث عند مفكري الإسلام واكتشاف المنهج العلمي في العالم الإسلامي: علي سامي النشار**، دار النهضة العربيّة للطباعة والنّشر-بيروت-لبنان، ط3، 1404هـ-1984م، ص09. **يُنظر أيضاً: البحث العلمي- أسسه، مناهجه وأساليبه وإجراءاته: ربحي مصطفى عليان**، بيت الأفكار الدولية-عمان-الأردن، (د.ت)، ص12.

(2) **يُنظر: منهجيّة البحث العلمي للجامعيّين: صلاح الدّين شروخ**، ص93-94.

(3) **يُنظر: أسس علم اللّغة العربيّة: محمود فهمي حجازي**، دار الثقافة للطّباعة والنّشر-القاهرة-مصر، 2003م، ص123-125. **يُنظر أيضاً: منهج البحث الأدبي واللّغويّ: الرديني (محمّد علي عبد الكريم) وعبود (شلتاغ)**، ص191. **يُنظر كذلك: منهج البحث اللّغويّ: محمود سليمان ياقوت**، كلية الآداب-جامعة الكويت، (د.ط)، (د.ت)، ص107-108.

(4) **يُنظر: أسس علم اللّغة العربيّة: محمود فهمي حجازي**، ص123-125.

(5) **سورة الرّوم: الآيتان** 54 و55.

تطوّر علمٍ من العلوم نُلاحظ أنّ نشأته تبرز نتيجة ظروف خاصّة، ثمّ نجد روّاده يضعون لبناته شيئاً فشيئاً؛ غير أنّ بناءَه لا يكتملُ إلاّ على يد شخصيّةٍ فذّةٍ تؤصّلُ قواعده الأساسية، وتحكم طرقَ استثمار فروعه، والذي يقوم بهذا العمل يُسمّى عادةً **إمامُ هذا العلم**»[1]؛ وهذا ما حدث بالفعل عند العرب منذ بعثة نبيّنا محمّد-صلّى الله عليه وسلّم- الذي أنار البشريّة بنور الإسلام، واستنارت بنوره الشعوب العربيّة والإسلاميّة التي قادت البشريّة إلى إقامة الحضارات وازدهار العلوم والمعرفة، وكان لها شأن عظيم في تاريخ البشريّة لا يُنكره إلاّ جاحد.

الدرس الرابع: مفهوم البحث العلميّ.

ينشرحُ صدرُ المرء وهو يقرأ ويُلاحظ ذلك **الكمّ الهائل من المؤلّفات** التي تُعنى **بالبحث العلمي** في ميادينه المختلفة من **لغة** و**أدب** و**تاريخ** و**اجتماع** و**فلسفة** و**طب** و**رياضيات** وغيرها في **بلادنا العربي** و**الإسلامي**، مقارنةً **بثلاثينيّات** القرن الماضي (القرن العشرون) حيثُ غابت مثل هذه المؤلّفات عن السّاحة العربيّة بينما عمرت مكتبات الغرب بمثلها[2]. وقد حاول الباحثون المحدثون تحديد **مفهوم دقيق للبحث العلميّ** وتحديد **أهميّته** و**أهدافه**، إلاّ أنّ تلك المفاهيم قد **تباينت** في كثير من الأحيان؛ وعلى الرّغم من ذلك فإنّ نظرةً مُمعنة ودقيقة ثاقبة تُظهر أنّ ذلك **التباين** لا يعدو أنْ يكون مجرّد تفصيلٍ هنا أو اختصارٍ هناك، أو حشوٍ لمفاهيم أخرى ذات علاقة وطيدة بمفهوم البحث العلميّ.

1- المفهوم اللّغويّ لمادّ (بحث).

لقد جاءت مادّة (**بحث**) في اللّغة العربيّة بمعان كثيرة منها **طلب الشيء في التراب**، **وبمعنى السّؤال عن الشّيء**، يقول **الخليل بن أحمد الفراهيدي** (ت175هـ): «**البَحْثُ**: **طَلَبُك شيئاً في التُّراب**؛ وسؤالُكَ مُسْتَخبراً تقول: **أستَبْحِثُ** عنه و**أبحَثُ**، وهو **يَبْحَثُ** بَحْثاً؛ و**البَحوثُ** من **الإبل** التي إذا سارت **بَحَثَت** التُراب بأَيديها أُخُراً تَرمي به إلى خَلْفها»[3].

وذكرها ابن فارس (ت395هـ) بمعنى **إثارة الشيء** أو **طلب عِلْمه** فقال: «الباء والحاء والثاء **أصلٌ واحد**، يدلُّ على **إثارة الشيء** [...] و**البحث**: أن **تسأل** عن شيء و**تستخبر**، تقول: (**استَبْحِثْ** عن هذا الأمر)، و(أنا **أستَبْحِثُ** عنه)، و(**بحثْتُ** عن فلانٍ **بحثاً**)، و(أنا **أبحث عنه**)؛ و**العرب** تقول: (**كالباحثِ عَنْ مُدْية**)، يُضْرَبُ لمن يكون **حَتْفُه بيده**،

---

[1] **تاريخ النحو العربيّ في المشرق والمغرب: محمّد المختار ولد ابّاه**، مراجعة: محمّد توفيق أبو علي ونعيم علوية، سلسلة الدراسات الإسلامية، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، بيروت-لبنان، ط1، 1422هـ-2001م، ص79 .

[2] **يُنظر: منهج البحث الأدبي: علي جواد الطّاهر**، (ساعدت جامعة بغداد على نشر هذا الكتاب)، مطبعة العاني-بغداد، 1970م، ص01-11.

[3] **كتاب العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي**، مادة (ب ح ث)، ص207/3.

وأصله في الثَّوْر تُدْفَن له المِدْيةُ في التُّرابِ **فيستثيرُها** وهو لا يعلَم فتذبحه، قال: (ولا تَكُ كالثَّوْرِ الذي دُفِنَتْ له *** حديدةُ حَتْفٍ ثمَّ ظلَّ **يُثِيرُها**)؛ قال: (**والبحث لا يكون إلاّ باليد**؛ وهو **بالرِّجْل**: **الفَحْص**) [...] ويقال: **بَحَثَ** عن الخبر، أي: **طلب عِلْمَه**»[1].

وهي المعاني نفسها التي ذكرها **ابن منظور** (ت711هـ) وأضاف إليها معنى **التفتيش** و**اللّعب بالتراب** وذكر بعض استعمالاتها في اللّغة العربيّة فقال: «**البَحْثُ**: **طَلَبُكَ** الشيءَ في **التُّراب**؛ بَحَثَه يَبْحَثُه بَحْثاً وابْتَحَثَه؛ [...] **والبَحْثُ** أَن **تَسْأَل** عن شيء وتَسْتَخْبر؛ و**بَحَثَ** عن **الخَبر** وبَحَثَه يَبْحَثُه بَحْثاً: **سأَل**؛ وكذلك اسْتَبْحَثَه واسْتَبْحَثَ عنه؛ **الأَزهري**: (**اسْتَبْحَثْتُ** وابْتَحَثْتُ وتَبَحَّثْتُ عن الشيء بمعنى واحد **أَي فَتَّشْتُ عنه**)؛ **والبَحْث**: **الحَيَّةُ العظيمة**، لأَنها تَبْحَثُ التُّرابَ؛ و**تَرَكْتُه بمباحِثِ البَقَر** أَي: بالمكان القَفْر، يعني بحيثُ لا يُدْرى أَين هو؛ و**سُورةُ بَراءةَ** كان يقال لها (**البُحُوثُ**)، سمِّيت بذلك لأَنها **بَحَثَتْ** عن المنافقين وأَسرارهم، أَي: **اسْتَثارتْها** و**فَتَشَتْ** عنها؛ وفي **حديث المِقداد**: (أَبَتْ علينا **سُورةُ البُحوثِ** ﴿انْفِرُوا خِفافاً وثِقالاً﴾) يعني **سورةَ التوبة**؛ و**البُحوثُ**: جمع **بَحْثٍ**؛ قال **ابن الأَثير**: (ورأَيت في **الفائق سورة البَحُوث** (بفتح الباء)، قال: فإِن صَحّت فهي **فَعُول** من أَبنية المبالغة، ويقع على الذكر والأُنثى كامرأَة صَبور، ويكون في باب إِضافة الموصوف إِلى الصفة)؛ وقال **ابن شميل**: **البُحَّيْثى** مثال خُلَّيْطَى: **لُعْبة يَلْعَبون بها بالتراب كالبُحْثَة**؛ وقال **شمر**: (جاء في الحديث أَن غُلامين كانا يَلْعَبانِ **البُحْثَةَ**) [...] ضُبِطَت **البحثة** بضم الموحدة بالأَصل **كالنهاية**، وضُبطت في **القاموس كالتكملة** و**التهذيب** بفتحها)، وهو **لعِبٌ بالتراب**؛ قال **البَحْثُ**: **المَعْدِنُ**، يُبْحَثُ فيه عن الذَّهَبِ والفِضَّةِ؛ قال و**البُحاثَة**: التُّراب الذي يُبْحَثُ عما **يُطْلَبُ فيه**»[2].

ولم يبتعد **مرتضى الزَّبيدي** (ت1205هـ) عن تلك المعاني مضيفاً إليها معاني **الاستخبار** و**البعثرة** و**إظهار السّر** أو إخفاؤه، وذكر بعض الاستعمالات الأخرى التي تدلّ في مجملها على **البحث** و**التفتيش**، فقال: «**البَحْثُ**: **طَلَبُكَ** الشَّيءَ في التُّرابِ؛ بَحَثَه يَبْحَثُه بَحْثاً وابْتَحَثَه فهو يَتَعَدَّى بنفسه؛ وكثيراً ما يستعمله المصَنِّفُون مُتعَدّياً **بفي**، فيقولون: **بَحَثَ فيهِ**، والمشهورُ التَّعْدِيةُ **بِعَنْ** كما للمصَنّف تَبعاً **للجوهريّ** وأَربابِ الأَفعالِ [...] و**البَحْثُ**: **المَعْدِنُ**، **يُبْحَث** فِيه عن الذَّهَب والفِضَّة؛ قاله **شِمِرٌ**: (**البَحْثُ**: **الحَيَّةُ العظِيمةُ**، لأَنها **تَبحَثُ** التُّرَابَ)؛ جاءَ في **الحديث**: (أَنَّ غلامَيْنِ كانا يَلعَبَانِ **البَحْثَةَ**)، قال **شَمِرٌ**: **البَحْثَةُ** بالفتح كما يدلّ عليه إِطْلاقُه، ووجدْتُه في بعض الأُمهات مضبوطاً بِالقلمِ مضمومَ الأَول؛ قال **ابن**

---

[1] **معجم مقاييس اللّغة**: **ابن فارس (أبو الحسن أحمد بن زكريا)**، تحقيق وضبط عبد السّلام محمّد هارون، دار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع-بيروت-لبنان، 1399هـ-1979م، مادة (ب ح ث)، ص205/1.

[2] **لسان العرب**: **ابن منظور (مُحَمَّد بن مكرم الأفريقي المصري)**، دار صادر-بيروت-لبنان، ط1، (د.ت)، مادّة (ب ح ث)، ص114/2-115.

شُمَيلٍ: البُحَيْثَي (بضمّ فتشديدٍ) كسُمَّيْهَي، ومَثَّلَه **ابن شُمَيْلٍ** بخُلَّيْطَي: **لَعِبٌ بالبُحَاثةِ** (بالضمّ) أَي: **التُّراب** الذي **يُبْحَث** عمّا يُطلَب فيهِ؛ قاله **الأزهري**: (و**انبحَثَ**: **لَعِبَ به**، هكذا في نُسْختِنا بتقدِيم **النون** على الموحّدة والصّواب: و**ابْتَحَثَ** من باب الافتعال [...] و**البُحُوث**: جَمعُ **بَحْثٍ**؛ قال **ابن الأَثير**: (ورأَيْت في **الفائِقِ**: **سورة البَحُوثِ** كصَبُور أَي بضبط القَلم ومثله في نُسخَتنا؛ قال: فإِن صَحَّتْ فهي فَعُول من أَبْنيةِ المبالِغة وَيَقع على الذَّكر والأُنثى كامرأَةٍ صَبورٍ، ويكون من باب إِضافة الموصوفِ إِلى الصّفة)؛ وفي **اللسان**: (سُمِّيَت بذلك لأَنها **بَحَثتْ** عن المنافقين وأَسْرَارِهم أَي: **استثارَتْها** و**فتَّشَتْ** عنها)؛ وفي **الفائق**: (أَنّها تُسَمَّى **المُبَعْثِرَة** أَيضاً) [...] **البَحِيث**: **السِّرّ**، ومنه المثل: (بَدَا بَحِيثُهم) كذا في مَجْمع الأَمثال»[(1)].

وقد جاءت مادّة (**بحث**) في **معاجم لغويّة** أخرى بمعنى: **نقّبَ** و**فتّش** و**كَشَف**؛ يقول **مرتضى الزَّبيديّ** (ت1205هـ): «**نَقَّبَ** عَنِ الأَخْبَارِ وغيرِها: **بَحَثَ عَنْها**؛ وإِنّما قَيَّدْنا (**غيرها**) لئَلاّ يَرِدَ ما قالَهُ شيخُنَا: (ليس الأَخبار بقيْد، بل هو **البحث** عن كُلِّ شيْءٍ و**التَّفْتيشُ** مطلقاً)؛ أَو **نَقَّبَ** عن الأَخبار: **أَخْبَرَ بِها**؛ وفي **الحديث**: (إِنِّي لَمْ أُومَرْ أَنْ **أُنَقِّبَ** عن قُلُوب النّاس) أَي: **أُفَتِّشَ**، و**أَكْشِفَ**»[(2)].

ويُمكنُ إجمالُ معاني مادّة (**البحث**) الواردة في **المعاجم العربيّة** في: **الإثارة**؛ و**التتبع**؛ و**التفتيش**؛ و**الكشف** و**التنقيب**؛ و**السؤال**؛ و**التحرّي**؛ و**التقصي**؛ و**طلبُ عِلْم الشيء**؛ و**إظهار السرّ**؛ و**البعثرة**؛ و**اللّعب بالتراب**؛ وغير ذلك من المعاني التي تكادُ تجتمعُ على معنى **التفتيش** و**الكشف عن المستور**؛ وقد تكون بمعنى **الفحص**، يقول **ابن منظور**: «**الفَحْصُ شدةُ الطلب** خِلالَ كل شيء؛ **فَحَص عنه فَحْصاً**: **بَحَثَ**، وكذلك تفَحّصَ وافْتَحَصَ»[(3)]؛ وقد تكون بمعنى **الحفر**، و**التّنقيب** عن **الخبء** وعن **المستور** و**الغائب** و**الموارى**، ومن ذلك **قول الله تعالى**: ﴿فَبَعَثَ اللهُ غُراباً **يَبْحَثُ** في الأَرْضِ ليُرِيَهُ كَيْفَ يُواري سَوْءَةَ أخيه﴾[(4)] أي يحفر فيها.

---

(1) **تاج العروس**: **مرتضى الزبيدي**، مادة (ب ح ث)، ص163/5.

(2) **نفسه**، مادة (ن ق ب)، ص300/4.

(3) **لسان العرب**: **ابن منظور**، مادة (ف ح ص)، ص63/7.

(4) **سورة المائدة**: **الآية**31.

2- المفهوم اللّغويّ لمادّتَيْ (علم) و(عرف).

غالبا ما يذكر العلماء والباحثون (**المعرفة**) و(**العلم**) بما يوحي أنّهما مترادفتان لغويًّا، فإذا ما تتبّعنا بعض أقوالهم عن **المعرفة**، وَجَدناهم يذكرونها مع **العلم** غالباً؛ لأنّ الفرق بين المصطلحين دقيق، وفي أحيان كثيرة يصفون **المعرفة** بأنّها **العلم**، ومن ذلك قول **ابن سيدة**: «**عرّفه** الأمرَ: **أعلَمَه** إيّاه؛ و**عرّفه** بيتَه: **أعلمه** بمكانه؛ و**عرّفه** به: **وَسَمَه**»[1].

إنّ من أهمّ معاني مادّة (**ع ل م**) في **اللّغة العربيّة**: الشّعور بالشّيء وإتقانه وإدراكه والإحاطة به[2]. وقد ذكر **أبو البقاء الكفويّ** (ت1094هـ) أهمّ استعمالات هذه المادّة في كلام العرب، فقال: «**عَلِمَ به** (كسمع): **أدرك** و**أحاط**؛ و**الأمرَ**: **أتقنه**؛ والعِلمُ يتعدّى بنفسه وبالباء، ويزاد في مفعوله قياسا [...] ولا يتعدى بِ(مِنْ) إلا إذا أريد به التمييز (**وَاللهُ** يَعْلَمُ المُفْسِدَ مِنَ المصْلِحِ)؛ وقد صحّ أنّ **ابن عباس** قال في قوله **تعالى**: ﴿إلاّ **لِنَعْلَمَ**﴾ أي: لنُمَيِّزَ أهل اليقين من أهل الشكّ [...] و(**علمت**) يستعمل ويراد به **العلمَ القطعيَّ**، فلا يجوز وقوع (أن) الناصبة بعده؛ ويستعملُ ويرادُ به **النصَّ القوي**، فيجوز أن يعمل في (أن) يقال: (ما عَلِمْتُ إلاَّ أَنْ يَقومَ زَيْدٌ)؛ واستعمال **العلم** بمعنى **المعلوم**: شائع وواقع في الأحاديث كقوله **عليه الصلاة والسلام**: (**تَعَلَّموا العِلْمَ**)، فإنّ العلمَ ههنا بمعنى **المعلوم**؛ وقد **يكنى بالعلم عن العمل**، لأن العمل إذا كان نافعا قلما يتخلف عن **علم**؛ وقد يرادُ **بالعلم الجزاءُ** تقول: (أنا أعلم بمن قال كذا وكذا)»[3].

أمّا مادّة (**ع ر ف**) فتكادُ تُجمع **المعاجم اللّغويّة**[4] على أنّها من **التعارف**؛ و(**عرَفَهُ**) بمعنى: **أصابَهُ**؛ و(**عرّفه** به)، بمعنى: **وَسَمَه**؛ ومن بين استعمالاتها عند العرب ما ذكره **ابن سيدة** بقوله: «**المعارف**: محاسن الوجه [...] و**المعرفة**: منبت عرف الفرس من الناصية إلى المنسج [...] و**عرفة** و**عرفات**: موضع بمكة معرفة، كأنهم جعلوا كل موضع منها عرفة [...] قيل: سميت **عرفة** لأن الناس **يتعارفون به**، وقيل: سمي **عرفة** لأن **جبريل عليه السلام** طاف **بإبراهيم صلى الله على مُحَمَّد وعليه** فكان يريه المشاهدَ فيقول له: (**أعرفتَ؟ أعرفتَ؟**) فيقول **إبراهيم**: (**عرفتُ عرفتُ**)، وقيل: لأن **آدم صلى الله عليه وسلم** لما هبط من الجنة وكان من فراقه **حواء** ما كان، فَلَقِيَها في ذلك الموضع **عرَفها** و**عرَفته**»[5].

---

[1] **المحكم في اللّغة: ابن سيدة**، مادة (ع ر ف)، ص109/02.

[2] **يُنظر: نفسه**، مادة (ع ل م)، ص174/02. **يُنظر أيضاً: كتاب الكليات: الكفوي (أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني)**، تحقيق: عدنان درويش ومُحَمَّد المصري، مؤسسة الرسالة-بيروت، 1419هـ-1998م، ص610.

[3] **كتاب الكليات: أبو البقاء الكفوي**، ص610.

[4] **يُنظر: المحكم في اللّغة: ابن سيدة**، مادة (ع ر ف)، ص109/02-113. **يُنظر أيضاً: المفردات في غريب القرآن: الرّاغب الأصفهاني (أبو القاسم الحسين بن مُحَمَّد)**، تحقيق: مُحَمَّد سيد كيلاني، دار المعرفة- لبنان، مادة (ع ر ف)، ص331. **وكذلك: تاج العروس من جواهر القاموس: مرتضى الزَّبيدي**، مادة (ع ر ف)، ص133/24.

[5] **المحكم في اللّغة: ابن سيدة**، مادة (ع ر ف)، ص109/02-113.

3- المفهوم الاصطلاحيّ لمادّتَيْ (علم) و(عرف).

لاحظنا من خلال ما سبق ذكره من التعاريف اللّغويّة ذلك التقارب الكبير بين مادّتَيْ **(علم)** و**(عرف)**؛ أمّا من **الناحية الاصطلاحية** فإنّ **العلاقة بين العلم** و**المعرفة** علاقة **فلسفيّة معقّدة**، وإذا ما تتبّعنا أقوال العلماء القدماء والمحدثين أدركنا يقينا الفرق بين المفهومين الاصطلاحيَيْن لهما، وعلمنا أنّ **العلم جزء من المعرفة** أيْ أنّه **نوع من أنواعها**. لقد كان **علماء العربيّة القدماء** على وعي تامٍّ **بالفرق الدقيق بين المصطلحين**؛ وممّا يدلّ على ذلك أيضا قول **ابن سيدة الأندلسي** (ت458هـ): «**العِرْفان: العلمُ، وينفصلان بتحديدٍ لا يليقُ بهذا الكتاب**»[1].

وقد يصفون **العلمَ** بأنّه **المعرفة** كما في قول **أبي البقاء الكفوي** (ت1094هـ): «**العلمُ**: هو **معرفةُ** الشيء على ما هو به»[2]؛ إلاّ أنّهم يضعون الحدود التي تفصلُ بينهما إذا دعت الحاجة إلى ذلك.

فإذا كان **العلم** هو نوع أو جزء من **المعرفة**، فما هي **المعرفة** إذًا؟

لقد حددّ العلماء القدماء مفهوم **(المعرفة) الاصطلاحيّ** بما يتطابق مع ما جاء به علماء العصر الحديث، ومن ذلك ما ذكره **المُناوي** (ت1031هـ) محدّداً مفهومها عند **النّحاة** ثمّ عند **أهل النّظر**، فقال: «**المعرفة** عند **النحاة**: ما وُضِعَ ليَدُلَّ على شيءٍ بِعَيْنِه، وهي: المضْمَرات والأَعْلام والمبْهَمات وما عُرّف باللاّم، والمضاف إلى أحدهما؛ وعند **أهل النظر**: **إدراكُ الشيء على ما هو عليه**، وهي **مسبوقة بنسيانٍ حاصلٍ بعد العلم**، ولذلك يُسَمَّى **الحقُّ تعالى بالعالِم** دونَ **العارِفِ**»[3]، وما يُفيد بحثنا من هذا التعريف هو معناها **الاصطلاحي** عند **أهل النّظر**.

وقريبٌ من ذلك ما ذكره **البركتي** (ت1395هـ) بقوله: «**المعرفة: إدراكُ الشيء على ما هو عليه**، وهي **مسبوقة بالجهل** أو **النسيان** بعد **العلم**، بخلاف **العلم**؛ ولذلك يوصف **الحق تعالى بالعالم** لا **بالعارف**»[4].

وكلمة **(أدرك)** في اللّغة العربيّة من **الإدراك**، أيْ: **اللّحوق**، فقولنا: **أدركتُه** بمعنى: **لحقتُ** به؛ و**أدركته ببصرى**، أي: **رأيتُه**؛ و**أدركتُ الشيء**، أيْ: **بَلَغْتُ منتهاه**[5].

---

(1) **يُنظر: نفسه**، مادة (ع ر ف)، ص108/02.

(2) **يُنظر: كتاب الكليات: أبو البقاء الكفوي**، ص610.

(3) **يُنظر: التوقيف على مهمات التعاريف: المناوي (مُحَمَّد عبد الرؤوف)**، تحقيق: مُحَمَّد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر-بيروت، ودار الفكر-دمشق، ط1، 1410هـ، ص666.

(4) **يُنظر: قواعد الفقه: البركتي (مُحَمَّد عميم الإحسان المجددي)**، الصدف ببلشرز للنّشر-كراتشي-باكستان، ط1، 1407هـ- 1986م، مادة (م ع ر ف ة)، ص495.

(5) **يُنظر: الصّحاح: الجوهري**، مادّة (د ر ك)، ص1582/4. **يُنظر أيضاً: أساس البلاغة: الزمخشري (جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد)**، مادّة (د ر ك)، ص132-133.

وقد جعل العلماءُ **الإدراكَ** على **ستّ مراتب**، أرتّبها ترتيباً تنازليّاً، وهي:[1]

- ✓ **مرتبة العلم**: وهي إدراك الشّيء على ما هو عليه **إدراكاً جازماً**؛
- ✓ **مرتبة الظن**: وهي إدراك الشيء مع **احتمال ضد مرجوح**؛
- ✓ **مرتبة الشك**: وهي إدراك الشيء مع **احتمال مساوٍ**؛
- ✓ **مرتبة الوهم**: وهي إدراك الشيء مع **احتمال ضد راجح**؛
- ✓ **مرتبة الجهل المركب**: وهي إدراك الشيء على **وجه يخالف ما هو عليه**؛
- ✓ **مرتبة الجهل البسيط**: وهي **عدم الإدراك بالكلية**.

ذلك أنّ **الحقيقةَ** إمّا أنّنا **نعْلَمَها**، أو **نَظنَّها** أو **نشكَّ فيها** أو **نتوهّمَها**، أو أنّنا **نجهلُها**.

وبذلك فإنّ **المعرفة** تعني في أبسط معانيها الاصطلاحيّة:

"تصورا عقليا لإدراك كنه الشيء بعد أن كان غائبا، وتتضمن المعرفة المدركات الإنسانية إثر تراكمات فكرية عبر الأبعاد الزمنية والمكانية والحضارية والعلمية"[2].

أو **بعبارة أخرى، فإنّ المعرفة** هي:

"كل ذلك الرصيد الواسع والضخم من المعلومات والمعارف التي استطاع الإنسان أن يجمعها عبر التاريخ، بحواسه وفكره".

ولعلّ **أدقّ تفصيل اصطلاحيّ للعلم والمعرفة**، وأقربه إلى ما استقرّ عليه العلم الحديث، ما ذكره عبد **القاهر الجرجاني** (ت471هـ)، حيث **فرّق بين نوعين من العلم** (علم مستفاد من طرق الحواس، وآخر مستفاد من جهة النظر والفكر)، وقرّر بأنّ الأوّل يفضل الثاني، فقال: «إن **العلم المستفادَ من طرق الحواس**، أو **المركوز فيها من جهة الطبع** وعلى حد الضرورة، **يَفْضُلُ المستفادَ من جهة النظر والفكر، في القوة والاستحكام، وبلوغ الثقة فيه غاية التمام**، كما قالوا: (ليس الخبر كالمعاينة، ولا الظن كاليقين)؛ فلهذا يحصلُ بهذا **العلم** هذا الأنسُ، أعنى: **الأنسَ من جهة الاستحكام والقوة**، وضرب آخر من الأنس **وهو ما يوجبه تقدم الأُلْفِ**، كما قيل: (ما الحبُّ إلا للحبيب الأولِ)؛ **ومعلوم أن العلم الأول آتى النفس أولا من طريق الحواس والطباع ثم من جهة النظر والرويه**؛ فهو إذن أمسُّ بها رَحماً، وأقوى لديها ذمما، وأقدمَ لها صُحبة، وآكد عندها حُرمةً، وإذا نقلتها في الشيء بمثله عن المدرك بالعقل المحض وبالفكرة في القلب إلى

---

[1] **يُنظر**:.

[2].

ما يُدْرَكُ بالحواس أو يُعْلَمُ بالطبع وعلى حدّ الضرورة فأنت كمن يتوسلُّ إليها للغريب بالحميم، وللجديد الصحبة بالحبيب القديم، فأنت إذن مع الشاعر وغير الشاعر إذا وقع المعنى في نفسك غير ممثَّلٍ ثم مثَّلَه، كمن يخْبِرُ عن شيءٍ من وراء حجاب ثم يكشف عنه الحجاب ويقول: (ها هو ذا فأَبْصِرْهُ تجدُه على ما وصفتُ)»[1].

إنّ المتمعّنُ في كلام **الجرجاني** هذا، يعلمُ علم اليقين أنّ علماءنا القدامى قد كان لهم الأثر الكبير على العلم الحديث، ولعلّ وجه الشبه واضحٌ بيّنٌ بين ما قرّره الإمام الجرجاني وما تحدّث به **الفيلسوف والرياضيّ المؤرّخ البريطانيّ برتراند أرثر ويليام راسل** (Russel Bertrand) (ت1970م) عن **تطور التفكير العلمي**، حيث جاء في معنى: «أن العلم خلال قرون تاريخية قليلة، قد نما نموا داخليا لعله لم يكتمل بعد، وهذا النمو في أوجز عبارة هو **الانتقال من التأمل إلى التحكم**».

والجدير بالذّكر هنا أنّ العلماء في العصر الحديث يفرّقون بين كون **العلم فلسفة** وكونه **تقنيّة**، وقد أثبتت الدّراسات أنّ **تطوّر الشعوب وتقدّمها** متعلّق بكون **العلم تقنيّة** أكثر من كونه **فلسفة**؛ يقول **برتراند أرثر ويليام راسل** (Russel Bertrand) (ت1970م): «والصّحيح أنّ **العلم قد عَظّمَ حاسّة القوّة البشريّة** إلى حدٍّ كبيرٍ؛ لكنّ هذا التأثير مرتبط بالعلم **كتقنيّة** أكثر من ارتباطه به **كفلسفة**»[2].

ولذلك جعل العلماء **(المعرفة) ثلاثة أقسام**، هي:[3]

أ- المعرفة الحسية: وتكون بواسطة **الملاحظات البسيطة والمباشرة والعفوية**، عن طريق **حواس الإنسان المعروفة، دون إدراك للعلاقات القائمة بين هذه الظواهر الطبيعية وأسبابها**، ومثال ذلك: ملاحظة تعاقب الليل والنهار، أو طلوع الشمس وغروبها، وتهاطل الأمطار، وغير ذلك؛

ب-المعرفة الفلسفية: وهي **مجموع المعارف والمعلومات التي يتحصل عليها الإنسان** بواسطة **استعمال الفكر لا الحواس**، حيث يستخدم **أساليب التفكير والتأمل الفلسفي، لمعرفة الأسباب، الحتميات البعيدة للظواهر**، مثل: التفكير والتأمل في أسباب الحياة والموت، أو في خلق الوجود والكون، وغير ذلك؛

---

[1] **أسرار البلاغة في علم البيان: الجرجاني (عبد القاهر أبو بكر بن عبد الرحمن بن مُحَمَّد الفارسي الأصل)**، علّق على حواشيه: السيّد محمّد رشيد رضا، اعتنت بهذه الطبعة مُنى أحمد الشّيخ، دار المعرفة للطباعة والنّشر والتّوزيع-بيروت-لبنان، ط1، 1423هـ-2002م ص102-103.

[2] **أثر العلم في المجتمع: برتراند راسل**، ترجمة: صباح صدّيق الملوجي، مراجعة: حيدر حاج إسماعيل، المنظّمة العربيّة للتّرجمة-بيروت-لبنان، ط1، 2008م، ص40.

[3] **يُنظر: منهجيّة البحث العلمي: ماثيو جيدير**، ترجمة ملكة أبيض، تنسيق: محمّد عبد النبيّ السيّد غانم، (د.ط)، (د.ت)، ص06.

ج- المعرفة العلمية والتجريبية: وهي المعرفة التي تتحقق على **أساس الملاحظات العلمية المنظمة، والتجارب المنظمة والمقصودة للظواهر والأشياء،** ووضع **الفروض،** و**اكتشاف النظريات العامة والقوانين العلمية الثابتة** القادرة على **تفسير الظواهر والأمور تفسيرا علميا،** والتنبؤ بما **سيحدث مستقبلا والتحكم فيه.**

وهذا النوع الأخير من **المعرفة،** هو وحده الذي **يكَّون العلم.**

إنّ كلمة (**علم**) تُسْتَخْدَمُ في عصرنا الحديث للدلالة على **مجموعة المعارف المؤيدة بالأدلة الحسية،** وعلى جملة **القوانين** التي اكتشفت **لتعليل حوادث الطبيعة** تعليلا مؤسسا على تلك القوانين الثابتة[1]، ويُقابلها بهذا المعنى في المصطلح الأجنبيّ كلمة (Le Savoir)؛ وقد تستخدم **للدلالة على مجموعة من المعارف** لها **خصائص معينة،** كمجموعة **الفيزياء** أو **الكيمياء** أو **البيولوجيا**[2]، ويُقابلها بهذا المعنى في المصطلح الأجنبيّ كلمة (La Science).

وبذلك يكون (**العلم**) في أبسط **تعاريفه الاصطلاحية،** هو:

"**المعرفة المنسقة التي تنشأ عن الملاحظة والدراسة والتجريب،** والتي تقوم بغرض تحديد طبيعة وأصول وأسس ما تتم دراسته"[3].

وجاء تعريفه أيضاً بأنه: «ذلك **الفرع من الدراسة،** الذي يتعلق بجسدٍ مترابط من **الحقائق الثابتة المصنفة،** والتي **تحكمها قوانين عامة،** تستخدم **طرقاً ومناهج موثوق بها لاكتشاف الحقائق الجديدة** في نطاق الدراسة»[4].

وبذلك تكون **المعرفة أعمّ** من **العلم، وهو جزءٌ منها** أو **نوعٌ من أنواعها،** يتضمن **الحقائق والمبادئ والقوانين والنظريات والمعلومات الثابتة والمنسقة والمصنفة، والطرق والمناهج العملية** الموثوق بها لمعرفة واكتشاف الحقيقة بصورة قاطعة يقينية[4].

ولذلك جاء **التعريف الاصطلاحي للعلم** (Le savoir) في العصر الحديث بأنّه:

Le savoir: ensemble des connaissances acquises par l'étude; en philosophie: ensembles des discours, des pratiques, des objets et des méthodes qui constituent le champ historique de l'apparition des sciences et de leur développement»[5].

---

[1] **يُنظر: العلم والبحث العلمي: حسين رشوان،** المكتب الجامعي الحديث-الإسكندرية-مصر، 1982م، ص04.

[2] **يُنظر: منهجيّة البحث العلمي: ماثيو جيدير،** ص04.

[3] **نفسه،** ص05.

[4] **يُنظر: منهجيّة البحث العلمي: ماثيو جيدير،** ص05.

[5] **يُنظر: Le petit Larousse illustré 1984**, (Savoir), P912.

أيْ أنّه: "مجموعة من **المعارف المكتسبة بالدّراسة والبحث**"؛ ومن **المنظور الفلسفي** بأنّه: "مجموع **النظريات** و**التطبيقات العملية للمعارف** المنظمة التي تم جمعها وتصنيفها أو اكتشافها وتطويرها، ودراسة العلاقة بينها ضمن **مناهج وطرائق محددة**"[1].

ولعلّ **أدقّ** تعريف **اصطلاحيّ للعلم** ما ذكره **ربحي مصطفى عليان**، بأنّه: "**سلسلة من تصوّرات ذهنيّة ومشروعات تصوّريّة مترابطة متواصلة**، هي نتاج **لعمليتيْ الملاحظة والتجريب**"[2].

وحدّد العلماء **وظيفته** الأساس المتمثّلة في **التوصّل إلى تعميمات**، بصورة **قوانين أو نظريّات**، **تنبثقُ عنها أهدافٌ فرعيّة**، تتلخّصُ في **وصف الظّواهر وتفسيرها**، و**ضبط المتغيّرات** للتوصّل إلى **علاقات محدّدة بينها**، ثمّ **التنبّؤ بالظواهر والأحداث** لدرجة مقبولة من الدقّة[4].

نخلُصُ ممّا سبق ذكره إلى أنّ من **خصائص المعرفة**: **إدراك أثر الشيء بالحواسّ أو بالتفكّر والتدبّر**؛ أيْ أنّها تُستَعملُ في **العلم القاصر** المتوصَّل إليه بتفكّر؛ يقول **الراغب الأصفاهني** (ت502هـ): «**المَعْرِفةُ** و**العِرْفانُ**: **إِدْراكُ الشيءِ بتَفَكُّرٍ وتَدَبُّرٍ لأَثَرِهِ** [...] **المَعْرِفة** تُسْتَعْمَلُ في **العِلمِ القاصر المُتَوَصَّلِ إليه بتَفَكُّرٍ**؛ وأَصْلُه مِن (**عَرَفْتُهُ**)، أَي: أَصَبْتُ **عَرْفه**، أَيْ: رائِحَته، أَو مِن أَصَبْتُ **عَرْفَه**، أَي: خَدّهُ؛ [...] وَيُضادّ **المعرفةَ** الإنْكارُ، و**العِلْمَ** الجَهْلُ»[3].

ومن **خصائص العلم**: أنّه **يتجاوز إدراك أثر الشيء إلى إدراك ذاته، أو كما قال الكفويُّ**: «**إدراك الشيء بحقيقته**»[4]؛ أيْ أنّ **المعرفة** تقال **لإدراك الجزئي أو البسيط**، بينما يُقالُ **العلم لإدراك الكلي أو المركب**[5].

ونخلص إلى أنّ **المعرفة أعمّ من العلم، والعلم جزءٌ منها**؛ لأنّ **المعرفة** نوعان: **معرفة عامّة** تتحقّقُ من خلال **المشاهدة والمعاشرة والتعامل اليومي**، وهي التي نعتها **الأصفهاني بالعلم القاصر**؛ و**معرفة علميّة** تتحقّقُ بالتعلّم وتتجاوز الحدس والاحتكاك إلى التحليل المنهجي والشامل للموضوع محل الدراسة.

4- المفهوم الاصطلاحي للبحث العلميّ.

إنّ مصطلح (**البحث**) غالباً ما يكون مرتبطًا بمصطلح (**العلم**)؛ ويُقصد بعبارة "**البحثُ العلميُّ**": "**التنقيبُ عن مجموعة من المعلومات التي تخصُّ شيئاً علميّاً محدّداً، وِفق مناهج علمية دقيقة**"؛ فنقول: **البحث اللّغويّ**؛ والبحث

---

(1) **يُنظر: الموسوعة العربية العالمية**، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع-الرياض، ط2، 1999م، مادة (ع ل م)، ص16.

(2) **نقلاً عن: البحثُ العلميّ-أسسه مناهجه وأساليبه وإجراءاته: ربحي مصطفى عليان**، ص14.

(3) **المفردات في غريب القرآن: الرّاغب الأصفهاني**، مادة (ع ر ف)، ص331.

(4) **يُنظر: كتاب الكليات: الكفوي**، ص610.

(5) **يُنظر: نفسه**، ص610.

الأدبي؛ والبحث **الاجتماعي**؛ و**القانوني**؛ و**الرياضي**؛ و**الفيزيائي**؛ وغير ذلك؛ وهناك **عدة تعريفات** تحاول تحديد مفهوم **البحث العلمي**، ومنها: أنّه «طريقة منظّمةٌ **أو فحص** استفساري **منظّمٌ** لاكتشاف حقائق جديدة، والتثبّت من حقائق قديمة **والعلاقات التي تربطُ فيما بينها أو القوانين التي تحكمها**»[1].

وعرّف **علي جواد الطاهر البحث العلميّ** واستنبط منه تعريفاً **للبحث الأدبيّ** فقال: «**البحث** (research) (recherche): **طلب الحقيقة وتقصّيها وإذاعتها في النّاس**؛ و**البحث** الأدبي: **طلب الحقيقة الأدبيّة فيما حُفظ لنا من التراث من مصادر وإذاعتها**»[2].

وقد حاول **عبد الله محمّد الشريف** أن يحدّد أهمّ التعريفات **للبحث العلميّ**، أذكرها كما جاءت في كتابه كاملة بتصرّفٍ بسيط في ترتيبها **ترتيباً زمنيّاً من القديم إلى الحديث**:[3]

- «**البحث تقصٍّ أو فحصٌ دقيق لاكتشاف معلومات أو علاقات جديدة** ونموّ المعرفة الحالية والتحقّق منها» (Francis Rummel 1904 p.09)؛
- «**محاولة لاكتشاف المعرفة** و**التنقيب عنها** وتطويرها وفحصها وتحقيقها **بتقصٍّ دقيق ونقد عميق، ثمّ عرضها عرضاً مكتملاً بذكاء وإدراك**، لتسير في ركب الحضارة العلميّة وتُسهم فيه إسهاماً حيّاً شاملاً؛ أمّا إذا ابتعد البحث عن هذا الهدف فلن تُكتب له الحياة وتضيع الجهود المبذولة في سبيله» (**ثريا عبد الفتاح** 1960م ص24)؛
- «**البحث استقصاء منظّمٌ يهدفُ إلى إضافة معارف يُمكنُ توصيلها والتحقّق من صحّتها عن طريق الاختبار العلمي**» (N.Polonsky 1962 p.02)؛
- «**البحث العلمي هو المحاولة الدّقيقة النّافذة للتوصّل إلى حلول للمشكلات التي تؤرّق البشريّة وتُحيّرها**» (**فان دالين** 1969م ص09)؛
- «**البحث هو العمل الذي يتمّ إنجازه لحلّ** أو محاولة حلّ **مشكلة قائمة** ذات حقيقة مادّية» (**محمّد عجاج الخطيب** 1975م ص09)؛

---

(1) **أساليب البحث العلمي في العلوم الاجتماعية والإنسانية: فوزي غرايبة، نعيم دهمش، ربحي لحسن، خالد أمين عبد الله، وهاني أبو جبارة**، الجامعة الأردنية-الأردن، 1977م، ص05.

(2) **منهج البحث الأدبيّ: علي جواد الطّاهر**، ص21.

(3) **مناهج البحث العلميّ-دليل الطّالب في كتابة الأبحاث والرّسائل العلميّة: محمّد الشّريف (عبد الله)**، مكتبة الإشعاع للطّباعة والنّشر والتّوزيع – الإسكندريّة-مصر، ط1، 1996م، ص13-15.

❖ «**البحث هو الفحص والتقصّي المنظّم لمادّة أيّ موضوع** من أجل **إضافة المعلومات النّاتجة إلى المعرفة الإنسانية أو المعرفة الشّخصيّة**» (**محمّد عجاج الخطيب** 1975م ص09)؛

❖ «**البحث وسيلة للدراسة يُمكنُ بواسطتها الوصول إلى حلٍّ لمشكلة محدّدة، وذلك عن طريق التقصّي الشّامل والدّقيق لجميع الشّواهد والأدلّة التي يُمكن التحقّق منها والتي تتّصل بهذه المشكلة المحدّدة**» (**أحمد بدر** 1975م ص19)؛

❖ «**البحث هو طلب الحقيقة وتقصّيها وإذاعتها بين النّاس**؛ ومنهج البحث هو الطّريقة التي يسير عليها دارس أو باحث **ليصل في النّهاية إلى حقيقة في موضوع من الموضوعات أو علم من العلوم يستوي في ذلك التّفسير والحديث والفقه والآداب والتّاريخ وكلّ العلوم الإنسانية وغير الإنسانية**» (**عبد الرحمن** 1977م ص27)؛

❖ «**البحث هو عرض مفصّلٌ أو دراسة متعمّقة تمثّلُ** كشفاً جديداً أو تأكيداً على حقيقة قديمة مبحوثة، وإضافة شيء جديد لها، أو حلّ مشكلة كان قد تعهّد شخصٌ بتقصّيها وكشفها وحلّها، **على أن يشمل هذا العرض أو الدّراسة على كافّة المراحل الأساس التي مرّ بها، ابتداءً من تحديد المشكلة أو طرح الفكرة إلى دعم كافّة المعلومات والبيانات الواردة في العرض بحجج وبراهين ومصادر كافية ووافية بالغرض**، وعلى أن تمثّل حصيلة هذا العرض والدّراسة إضافةً أو إسهاماً في إغناء جانب أو أكثر من جوانب المعرفة البشريّة» (**عامر إبراهيم** 1979م ص15)؛

ثمّ خلُصَ إلى تعريفه الخاصّ للبحث بأنّه: «**دراسة مفصّلة لمشكلة معيّنة**، ودراسة المشكلة تعتمد على **أسس ومعايير علميّة** يتّبعها البّاحث لكي **يتوصّل إلى حقيقة المشكلة التي يبحثها**، وإنّ الأبحاث بمختلف أنواعها تُعتبر مصدراً مهمّا لإثراء المعرفة البشريّة»[1].

كما حاول **عمّار بوحوش ومحمّد محمود الذنيبات** ذكر بعض **التعريفات للبحث العلمي**، جاء فيها:[2]

➢ «**البحث العلميّ هو المحاولة الدقيقة النّافذة للتوصّل إلى حلول للمشكلات التي تؤرّق البشريّة**؛ ويولد **البحث العلمي** نتيجة لحبّ الاستطلاع، ويُغذّيه الشوق العميق إلى معرفة الحقيقة وتحسين الوسائل التي تُعالَجُ بها

[1] **مناهج البحث العلميّ-دليل الطّالب في كتابة الأبحاث والرّسائل العلميّة: محمّد الشّريف (عبد الله)**، ص15.

[2] **يُنظر: مناهج البحث العلمي وطرق إعداد البحوث: عمار بوحوش ومحمّد محمود الذنيبات**، ديوان المطبوعات الجامعيّة- السّاحة المركزيّة- بن عكنون- الجزائر، ط2 (منقّحة)، 1999، ص.

مختلف الأشياء. حقّاً إنّ البحث العلميّ شيء ثمين لأنّه يمنح الإنسان مفتاحاً للتقدّم الاجتماعي» (**سعيد نبيل وآخرون** 1979م ص25)؛

- «**البحث العلميّ هو نشاطٌ علميٌّ منظّم**، وطريقة في التفكير، وأسلوبٌ للنّظر في الوقائع، **يسعى إلى كشف الحقائق، معتمداً على مناهج موضوعية من أجل معرفة الارتباط بين هذه الحقائق، ثمّ استخلاص المبادئ العامّة والقوانين العامّة أو القوانين التفسيريّة**؛ وهكذا فإنّ **البحث العلميّ** يُثير الوعي ويوجّه الأنظار نحو مشكلة ربّما لا يكون للحصانة أيّ دور يستوجب أن تثار بطريقة أخرى» (**حسين أحمد رشوان** 1982م ص26)؛
- «**البحث العلميّ هو التقصّي المنظّم باتّباع أساليب ومناهج علميّة محدّدة للحقائق العلميّة** بقصد التأكّد من صحّتها وتعديلها أو إضافة الجديد لها» (**غازي حسين عناية** 1984م ص75)؛

وعرّفته **ثريّا عبد الفتاح ملحس** بأنّه: «**محاولة** لاكتشاف المعرفة و**التنقيب عنها** و**تطويرها** و**فحصها** و**تحقيقها بتقصٍّ دقيق ونقد عميق، ثمّ عرضها عرضاً مكتملاً بذكاء وإدراك**»[1].

و**عرّفه آخرون** بأنّه: «**وسيلة يُحاول الباحثُ بواسطته دراسة ظاهرة أو مشكلة ما**، والتعرّف على **العوامل التي أدّت إلى وقوعها**، ثمّ الخروج **بنتيجة أو الوصول إلى حلّ أو علاجٍ للمشكلة** تلك»[2].

وفي ترجمة **محمّد زكريّا عناني وسعيدة محمّد رمضان** لتعريف أحد **العلماء الأمريكيّين للبحث العلمي**، جاء فيه: «إنّ **البحث وسيلة للدّراسة، نصل من خلالها إلى حلٍّ لمعضلة** ما عن **طريق الاستقصاء الشّامل والدّقيق لجميع الشّواهد والأدلّة** التي **يُمكنُ التحقّق منها** والمتّصلة بهذه المعضلة المحدّدة»[3].

والحقيقة أنّ من هذه التعريفات ما هو دقيقٌ، يتناولُ جوهر مفهوم **البحث العلميّ**، ومنها ما يبتعدُ عن الدقّة بإشراك بعض المفاهيم التي تتناولُ **أهداف** البحث العلميّ أحياناً و**أهميّته** أحياناً أخرى، أو **الدّوافع والأسباب** التي أدّت إليه. إنّ تعريف **البحث العلمي** يجب أن يكون **دقيقاً** و**شاملاً**؛ **دقيقاً** مختصراً غير مخلٍّ يشملُ العناصر الأساس التي تُعرّف بالمادّة بحيثُ لو حُذف أحدها لم يكن المعنى مكتملاً؛ و**شاملاً** غير مقتصرٍ على ميدان دون ميدان أو علم دون

---

(1) **منهج البحث العلميّ للطّلاّب الجامعيّين: ثريا عبد الفتاح ملحس**، دار الكتاب اللّبناني للطّباعة والنّشر-بيروت، 1960م، ص24. **نقلاً عن: أساليب البحث العلمي في العلوم الاجتماعية والإنسانية: فوزي غرايبة وآخرون**، ص06.

(2) **أساليب البحث العلمي في العلوم الاجتماعية والإنسانية: فوزي غرايبة وآخرون**، ص06.

(3) **في مناهج البحث وتحقيق النّصوص: محمّد زكريّا عناني وسعيدة محمّد رمضان**، دار النّهضة العربيّة للطّباعة والنّشر-بيروت-لبنان، 1999م، ص10-11.

علم بحيثُ يُمكن تعميمه؛ فما يصلح للعلوم الدقيقة يصلح للعلوم الإنسانية، وما يصلح لهذا يصلح للعلوم الاجتماعية والاقتصادية والقانونية وهكذا.

ولعلّ أقرب تعريف وأدقّ مفهوم **للبحث العلمي** هو ما ذكره **عبد العزيز بن علي الرّبيعة** بقوله: «**هو دراسةٌ مَبْنِيَّةٌ على تقصٍّ وتتبّعٍ لموضوع معيّنٍ وِفقَ منهج خاصّ لتحقيق هدف معيّنٍ**»[1]؛ وبالجمع بين هذا التعريف والتعريفات السّابقة يُمكننا القول بأنّ **البحث العلميّ** هو:

"عمليّة التنقيب عن المعرفة بتقصٍّ دقيق ونقد عميق لموضوع معيّنٍ وِفقَ المنهج العلميّ لتحقيق هدف معيّنٍ، ثمّ عرضه عرضاً مكتملاً بذكاء وإدراك".

وبذلك يكون هذا التعريف قد **استوفى أهمّ الأسس** التي يقوم عليها **البحث العلمي**، وهي **العناصر الخمسة** المتمثّلة في: تحديد **موضوع** الدّراسة وفرض الفروض؛ **الدقّة** و**الموضوعيّة** في التّحليل؛ توظيف **المنهج العلمي**؛ تحديد **الأهداف**؛ عرض **النّتائج** و**تعميمها** بعد التأكّد منها وتجريبها.

إنّ العبارة الاصطلاحية "**البحث العلمي**" يُقابلُها في اللغة الفرنسيّة (Recherche Scientifique) وفي اللّغة الإنجليزية (Scientific Research)، ويعتمد على **الطريقة العلمية** التي تعتمد بدورها على **الأساليب المنظمة الموضوعة في الملاحظة وتسجيل المعلومات ووصف الأحداث وتكوين الفرضيات**؛ وهي **خطوات منظَّمة** تهدف إلى **اكتشاف وترجمة الحقائق**، وهو ما ينتج عنه **فهمٌ للأحداث والاتجاهات والنظريات**؛ قد ينتهي بوجود علم تطبيقيٍّ يستخدمُ تلك القوانين والنظريات.

وبهذا يكون المعنى الاصطلاحيّ **للبحث العلميّ**، هو: "**طلب وتقصي حقيقة من الحقائق أو أمر من الأمور، بالتنقيب والتفكير والتأمل؛ من أجل بلوغ ما** يريده الباحث"؛ أو أنه: "**البحث عن الحقيقة والتعمّق في معرفتها**، بهدف اكتشافها وعرضها **بأسلوب منظَّم يُسْهِم في إثراء معلوماتِ بعينها**"؛ ولا يختلف البحث العلميّ من ميدانٍ لآخر إلاّ من حيث **الوسائل والإمكانات التي تقتضيها طبيعة البحث في كلّ ميدان**[2].

إنّ "**البحث العلمي**" في عصرنا الحديث بمثابة المرتكز المحوريّ للوصول إلى **الحقائق العلمية**، وهو **السبيل الوحيد للمعرفة حول العالم**، فهو الذي يُمَكِّنُ الإنسان من **الحصول على نتائج دقيقة** يُمكنُه وضعها في **إطار قواعد أو قوانين** أو

---

[1] **البحث العلمي-حقيقته ومصادره ومادّته ومناهجه وكتابته وطباعته ومناقشته: عبد العزيز بن عبد الرحمن بن علي الرّبيعة**، مكتبة العبيكان-الرياض، ط6، 1433هـ-2012م، ص23.

[2] **يُنظر: لمحات في المكتبة والبحث والمصادر: محمّد عجاج الخطيب**، بيروت، 1391هـ-1971م، ص87.

نظريات علمية؛ ولا يوصفُ **البحثُ بالعلميّة** إلاّ إذا سار وِفق **مناهج علمية هادفة ودقيقة،** وباستخدام **أدوات ووسائل بحثية منظمة؛ إذْ لم يعد البحث عن المعرفة عمليّة عشوائيّة تحكمها الذّاتية والنزوات الشّخصيّة**[1].

وعليه فإنّ **البحث العلميّ** ينبني على **أسس أهمّها: التقصّي الدقيق والنقد العميق؛ فالبحث العلميّ تحكمه القوانين والقواعد العلميّة،** ولذلك كان لزاماً أن يتّسم **بالدقّة والتعمق في الطّرح،** وأن **يبتعد عن الذاتية،** وأن لا **يقبل الباحثُ كلّ ما يقرأه أو يسمعه،** بل عليه أن يُمحّصه ويتأكّد من صحّته بالطرق العلميّة، ثمّ يقبله بعد ذلك، أيْ أن يكون تفكيره **تفكيراً نقديّاً بنّاءً،** يسير وِفقَ **خطوتين متكاملتين:** خطوة **تحليلية نقدية، وخطوة إيجابية تركيبية بنائية؛** حيثُ يقوم الباحث في **الخطوة التحليلية بدراسة المعطيات المتوفرة** لديه من المادّة العلميّة التي جمعها، فيعمل على تحليلها وتفتيتها وصولا إلى أدق تفاصيلها، لمعرفة الأسس المكونة لها وكيف تم تركيبها، وتقتضي عمليةُ **التحليل** قدرةَ الباحث على **التفنيد والنقد،** وعدم التسليم بالآراء التي يقرأها إلاّ بعد التأكد من **سلامتها** من النّاحية **الاستدلالية؛** ثمّ يُتبعُ هذه الخطوة بأخرى **تركيبية بنائية،** يكشف فيها عن **العلاقات الرابطة بين المعطيات والنتائج.**

الدرس الخامس: خصائص البحث العلمي.

يتجلّى مفهوم **البحث العلميّ** أكثر إذا عرفنا **خصائصه** التي تُميّزه، ولا يُمكن وصف أيّ بحث بالعلميّة إلاّ إذا توفّرت فيه هذه الخصائص، ومنها:[2]

- ✓ **التراكمية والحركيّة والتّجديد:** لأنّ **المعرفة** تعود بجذورها إلى بداية الحضارات الإنسانية، فهي تُبنى هرميًّا من الأسفل إلى الأعلى، نتيجة تراكم وتطور المعرفة العلمية؛ و**التراكمية العلمية** إمّا أنها تأتي بالبديل، فتلغي القديم مثل: فيزياء نيوتن التي اعتقد بأنها مطلقة إلى أن جاء أينشتاين بنسبيته، وبالمثل فإن الكثير من النظريات والمعارف العلمية في مجالات مختلفة، استغنى عنها الإنسان واستبدلها بنظريات ومفاهيم ومعارف أخرى، وبخاصة في مجال بعض العلوم التي تتسم بالتغير والنسبية؛ أيْ أنّ **البحث العلمي** ينطوي دائما على تجديد المعرفة عن طريق استبدال متواصل ومستمر للمعارف القديمة بمعارف جديدة وإضافات حديثة؛ **فالبحث العلمي بحث حركي تجديدي؛**

---

(1) **يُنظر: أساليب البحث العلمي في العلوم الاجتماعية والإنسانية: فوزي غرايبة وآخرون،** ص01.

(2) **يُنظر: منهجية البحث: ماثيو جيدير،** ص10-12. **يُنظر أيضاً: البحث العلمي- أسسه، مناهجه وأساليبه وإجراءاته: ربحي مصطفى عليان،** ص22. **والبحث العلمي (أساسياته النّظريّة وممارسته العمليّة): رجاء وحيد دويدري،** دار الفكر المعاصر-دمشق-سوريا، ط1، 1421هـ-2000م، ص69-73. **وكذلك: في المناهج اللّغويّة وإعداد الأبحاث: صالح بلعيد،** ص37-40.

✓ **التّنظيم**: إنّ **البحث العلمي بحث منظم ومضبوط**، فهو **نشاط عقلي منظم ومضبوط ودقيق ومخطط**، حيث أن المشكلات والفروض والملاحظات والتجارب والنظريات والقوانين، قد تحققت واكتُشفت بواسطة جهود عقلية منظمة ومهيأة جيدا لذلك، وليست وليدة مصادفات أو أعمال ارتجالية، وتحقق هذه الخاصية للبحث العلمي، يجعلنا نثقُ ثقةً كاملةً في نتائج البحث، ثمّ إنّ **المعرفة العلمية** معرفة منظمة تخضع لضوابط وأسس منهجية، لا نستطيع الوصول إليها دون إتباع هذه الأسس والتقيد بها؛

✓ **التخصّص**: يقتضي **التطور العلمي** من الباحث أن يكون **متخصّصًا في** ميدانٍ علميٍّ محدَّد، وذلك بحكم التطور العلمي والمعرفي، وتزايد التخصصات وتنوع حقولها؛ مما يسمح للباحث بالاطلاع على موضوعاته وفهم جزئياته وتقنياته؛

✓ **الدقة والتبسيط والاختصار**: يخضع العلم لمبادئ ومفاهيم متعارف عليها بين ذوي الاختصاص تتضمن **مصطلحات** و**معاني** و**مفاهيم** دقيقة جدا ومحددة، ويجب استعمال هذه المصطلحات بدقة وتحديد مدلولها العلمي؛ وتقتضي الدقة الاستناد إلى معايير دقيقة، والتعبير بدقّة عن الموضوعات التي ندرسها؛

✓ **اليقين**: إنّ **المعرفة العلمية** لا تفرض نفسها إلا إذا كانت **يقينية**، أي أن صاحبها تيقن منها عمليا، فأصبح يستطيع إثباتها بأدلة وبراهين وحقائق وأسانيد موضوعية لا تحمل الشك، وهذا ما يعرف باليقين العلمي؛ فالنتائج التي يتوصل إليها الباحثُ يجب أن تكون مستنبطة من مقدمات ومعطيات موثوق من صحتها؛

✓ **الموضوعية**: ينبغي على الباحث أن يكون حياديا في بحثه، يتجرد من ذاتيته، وينقل الحقائق والمعطيات كما هي في الواقع، وأن لا يخفي الحقائق التي لا تتوافق مع وجهة نظره وأحكامه المسبقة؛

✓ **التّنظير**: لأنّ **البحث العلمي بحث نظري بالأساس**، يستخدم النظرية لإقامة وصياغة الفرض؛

✓ **التّجربة**: يقوم **البحث العلمي** على أساس إجراء **التجارب والاختبارات على الفروض**، والبحث الذي لا يقوم على أساس الملاحظات والتجارب لا يعد بحثا علميا؛

✓ **السببية وإمكانية تكرار النتائج**: السبب هو مجموع العوامل أو الشروط وكل أنواع الظروف، ومتى تحقق **السّبب** ترتب عنه **نتيجة مطردة**، لوجود علاقة سببية بين متغيرين هما: السبب والنتيجة، أو العلة والمعلول، وعندما نجري تجارب عديدة بهدفٍ واحد نحصُل على النتيجة نفسها

✓ **التفسير**: إنّ **البحث العلمي بحث تفسيري**، يستخدم المعرفة العلمية لتفسير الظواهر والأشياء بواسطة مجموعة من المفاهيم المترابطة تسمى النظريات؛

✓ **التعميم:** إنّ **البحث العلمي بحث عام ومعمم،** فالمعلومات والمعارف لا تَكتسِبُ الطبيعةَ والصفة العلمية إلا إذا كانت بحوثا معمَّمَة وفي متناول أيّ الجميع.

الدرس السادس: أهداف البحث العلمي.

نقصد **بأهداف البحث العلميّ** تلك **الغايات** التي يرجو الباحث تحقيقها من خلال البحث والتنقيب عن الأدلّة للوصول إلى نتائج من شأنها إضافة قيمة علميّة لشتّى ميادين المعرفة؛ أيْ إنّ **الهدف الأساس من البحث العلميّ** هو الخلوص إلى **نتائج علميّة دقيقة** يُمكنُ تعميمها بعد التأكّد من صحّتها وِفق **قواعد المنهج العلميّ ومبادئه**[1].

ومهما اختلفت **ميادين البحث** بين اللّغويّة والأدبية والتربويّة والتاريخية والعلمية والاجتماعية والفلسفية وغيرها، فإنّ **نتائج البحث** لا تبتعدُ عن **الغايات الثماني** التي حدّدها العلماء، وهي:

"الاختراع؛ الإتمام؛ الشّرح؛ الاختصار؛ الجمع؛ الترتيب؛ والتصحيح؛ والتفصيل".

يقول **عمّار بوحوش ومحمّد محمود الذنيبات:** «لا يُمكنُ أن تخرج الغاية من **البحث العلميّ**، وإن اختلفت ميادينه، عن واحدة من الغايات الآتية: **اختراع** معدوم؛ أو **جمع** متفرّق؛ أو **تكميلُ** ناقصٍ؛ أو **تفصيل** مُجمَلٍ؛ أو **تهذيب** مطوّلٍ؛ أو **ترتيب** مختلط؛ أو **تعيينُ** مُبهم؛ أو **تبيينُ خطأ**»[2].

وقد ذكرها **ابن حزم الأندلسي** (ت456هـ) وركّزَ على **سبع غايات** منها ولم يلتفت إلى غاية (**تفصيل المجمل**)[3] واصفاً التأليف الذي يهدفُ إلى ذلك بأنّه تأليف مقصرٌ عن مراتب غيره من التآليف؛ فقال: «وإنما ذكرنا **التآليف** المستحقة

---

(1) **يُمكنُ تحديد مبادئ وقواعد المنهج العلمي بأربع** هي: **التوثيق أو اليقين**، والمقصود به عدم التسرّع والميل مع الهوى، أو عدم التّسليم بكلّ ما يقرأه الباحث أو يسمعه حتّى يتأكّد من صحّته، أو أنّ الباحث في أيّ حقيقة ينبغي أن يتجرّد من كلّ ما كان يعلمه عنها قبل النّظر فيها وألا يُسلّم إلاّ بما هو حقّ ويقين لا يعتريه أيّ ضربٍ من ضروب الشكّ؛ **التّحليل**، والمقصود به أن يُقسّم الباحث كلّ مشكلة يتناولها بالبحث إلى أكبر عدد ممكن من الأجزاء البسيطة بالقدر الذي تدعو إليه الحاجة لحلّها على أكمل وجه، أو بعبارة أخرى: تحليل المشكلة المراد بحثها إلى عناصرها البسيطة التي تُدْرك بالحدس المباشر والتي لا تحتاج إلى استدلال أو برهنة لإثباتها؛ **التركيب**، والمقصود به أن يُعيد الباحث ما سبق أن قام به في المرحلة السابقة، مراعياً التسلسل المنطقي في ترتيب العناصر أو الأفكار، بحيث تكون كلّ فكرة نتيجة لازمة للفكرة التي سبقتها ومقدّمة طبيعيّة للفكرة التي تليها، ويكون هذا الترتيب تصاعديّاً يبدأ بأبسط العناصر وأسهلها معرفة ثمّ يصعد خطوة بخطوة حتّى يصل إلى أشدّها تعقيداً وأكثرها تركيباً؛ و**المراجعة النّهائية** أو **الاستقراء التّام**، والمقصود بها أن يقوم الباحث في النّهاية بإحصاء دقيقٍ ومراجعة تامّة لكلّ جوانب المشكلة وتفصيلاتها المختلفة، حتّى يكون على يقين أنّه لم يُغفل أيّ جانبٍ منها ذا أهميّة ولم يُسقط أيّ جزئيّة ذات قيمة؛ **يُنظر: البحث الأدبي (طبيعته؛ مناهجه؛ أصوله؛ ومصادره): شوقي ضيف**، ص84-85. **يُنظر أيضاً: المنطق الوضعي: زكي نجيب محمود**، مكتبة الأنجلو المصريّة-القاهرة، 1951م، ص414-430. **وكذلك: مناهج البحث الأدبي: يوسف خليف**، ص28-30.

(2) **مناهج البحث العلمي وطرق إعداد البحوث: عمار بوحوش ومحمود الذنيبات**، ص13.

(3) **يتمثّلُ تفصيل المجمل** في الشروح والحواشي والتحليلات والتفسيرات والتأويلات؛ وعمدةُ ذلك التخمين الذّهنيّ والتّبرير العقليّ.

للذكر، والتي تدخل تحت **الأقسام السبعة**[1] التي لا يؤلِّف عاقلٌ إلا في أحدها، وهي: إما شيءٌ لم يسبق إليه **يخترعُه**؛ أو شيء ناقصٌ **يُتمّه**؛ أو شيء مستغلقٌ **يشرحه**؛ أو شيء طويل **يختصره** دون أن يخِلَّ بشيء من معانيه؛ أو شيء متفرق **يجمعه**؛ أو شيء مختلط **يُرَتّبُه**؛ أو شيء أخطأ فيه مُؤَلِّفُه **يصلحُه**؛ وأما **التآليف المُقْصِرَة عن مراتب غيرها فلم نلتفت إلى ذكرها**، وهي عندنا من تأليف أهل بلدنا أكثر من أن نحيط بعلمها»[2]؛

وبالنظر إلى هذه **الأهداف الثمانية**، صنّف بعضُ الباحثين البحثَ العلميّ إلى **نوعين**، هما:[3]

- ✓ **البحث الريادي**: الذي يتمّ فيه **اكتشاف معرفة جديدة** ويلعبُ دوراً أكبر في توسيع المعرفة الإنسانية؛
- ✓ **البحث غير الرّيادي**: الذي يكتفي **بتجميع مادّةٍ** أو **الكشف عنها** أو **عرضها للمقارنة والتحليل والنّقد**.

وكمثال على **البحث الرّيادي** في **ميدان اللّغة**، تلك الأبحاث اللّغويّة التي ساعدت علماء الحاسوب في جهله يُحاكي نُطقَ الإنسان؛ والحقيقة أنّ هذا النّوع من الأبحاث كان نتيجة طبيعيّة لذلك النّوع (غير الريادي) الذي اكتفى بجمع المادّة اللّغويّة وتصنيفها و**عرضها للمقارنة والتحليل والنّقد**؛ وفي اعتقادي أنّ **كلا النّوعين ريادي**ّ، ونكتفي بالقول أنّ أحدهما **نظري**ّ والآخر **تطبيقي**ّ.

ولذلك يُمكنُنا القول بأنّ أهداف **البحث العلميّ** هي **أهداف** متعدّدة **بتعدّد اهتمامات الباحثين ومجالات أبحاثهم**، ويُمكنُ إجمالها في **الهدف الرّئيس للبحث العلميّ**، كما ذكرتُ آنفاً، وهو الخلوص إلى **نتائج علميّة دقيقة** يُمكنُ تعميمها بعد التأكّد من صحّتها وِفق **قواعد العلم ومبادئه**، وقد تكون تلك النّتائج عبارة عن **قواعد عامّة** (Règles générales)[4] أو **نظريّاتٍ**[5] (Théories)[6] وقد ترقى إلى درجة **القانون** (La Loi)[1]؛

---

[1] **المقصود بها العلوم السّبعة: علوم الشريعة** (الفقه والتفسير والدراسات القرآنية جملة والحديث)؛ **اللغة؛ الشعر؛ الأخبار** (التاريخ)؛ **الطب؛ الفلسفة؛ العدد والهندسة**. يُنظر: **رسائل ابن حزم الأندلسي: ابن حزم (علي بن أحمد بن سعيد، الأندلسي الظاهري)**، تحقيق: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر-بيروت-لبنان، (د.ط)، (د.ت)، ص38/2.

[2] **رسائل ابن حزم الأندلسي: ابن حزم**، ص186/2.

[3] **يُنظر: أساليب البحث العلمي في العلوم الاجتماعية والإنسانية: فوزي غرايبة وآخرون**، ص06.

[4] **يُنظر: معجم اللّسانية (فرنسي-عربي): بسام بركة**، مادّة (Règle)، ص179.

[5] **جاء تعريف النّظريّة بأنّها: «مبدأ عامّ وُضِعَ لتفسير حقيقة ما**، أو هي **نظريّة افتراضيّة ثبتت صحّتها، وطُبِّقت على نطاق واسع**؛ وتكون **النّظريّة**- على خلاف **القانون**- **عرضةً للتّعديل بدرجاتٍ متفاوتةٍ حسب تقدّم معرفتنا بالحقائق العلميّة المتّصلة بها»**. **يُنظر: أصول البحث العلمي (المنهج العلمي وأساليب كتابة البحوث والرّسائل العلميّة): أحمد عبد المنعم حسن**، المكتبة الأكاديميّة-القاهرة، ط1، 1996م، ص29. **وجاء تعريف النّظريّة أيضاً** بأنّها: «**بنيانٌ من المفاهيم المترابطة والتعريفات والمقولات**، التي تقدّمُ **نظرةً نظاميّة** إلى الحوادث **بوساطة تحديد العلاقات بين المتحوّلات بهدف تفسير الحوادث والتنبّؤ عنها»**. **يُنظر: البحث العلمي أساسياته النّظريّة وممارسته العلميّة: رجاء وحيد دويدري**، ص28.

[6] **يُنظر: معجم اللّسانية (فرنسي-عربي): بسام بركة**، مادّة (Théorie)، ص202.

والقانون في العرف العلمي هو تلك "**الأصول العامّة التي تُبيّن ارتباط الأسباب بمسبّباتها، والمقدّمات بنتائجها اللاّزمة**"، أو بعبارة أخرى: "**التي تُنبئُ بحدوث نتائج معيّنة لازمة إذا حدثت أسباب خاصّة وترجعُ النّتائج الحادثة إلى أسبابها**"، أو هو "**العلاقات الضّروريّة التي تنشأ من طبيعة الأشياء**"[2]؛ ومن أمثلة ذلك في **الرّياضيات**: قوانين **تقايس المثلّثين، والتي منها قانون "انطباق المثلّثين كلٌّ منهما على الآخر تمام الانطباق إذا تقايس ضلعَيْ أحدهما والزّاوية المحصورة بينهما بنظائرها في الآخر"**؛ ومثال ذلك في **الاقتصاد** "**قوانين العرض والطلب**" وغير ذلك[3]؛

ومن القوانين التي يهدفُ البحث اللّغويّ إلى تحقيقها وبنائها، ما يتعلّقُ بعنصر **الأصوات**، ومنها ما يتعلّق **بالدّلالات**، ومنها ما يتعلّقُ **بحياة اللّغة**، ومنها ما يتعلّقُ **بوظائفها**، وغير ذلك من مجالات البحث اللّغويّ. وقد تكون هذه القوانين عامّة تخضعُ إليها جميع اللّغات، وقد تكون خاصّة تنطبقُ على فصيلة من اللّغات، أو أخصّ من ذلك بحيث تنطبقُ على لغةٍ معيّنةٍ[4]. أمّا **قضيّة إدراك هذه القوانين من عدمه** فإنّ مردّه إلى **أمرين اثنين** هما: **القدرات العقليّة والفكريّة للباحث** أوّلاً ثمّ **مدى احترامه لقواعد المنهج العلميّ ثانياً؛ ولا يُمكنُ أن ترقى تلك القوانين** التي يبنيها الإنسان ببحثه إلى **درجة اليّقين التّام**[5]، وأقصى ما يُمكنُ أن يُقال أنّها تقتربُ منه على قدر تحقيق الشّرطين السّابقين.

الدرس السابع: خطوات البحث العلمي.

يمرّ **البحث العلميّ بخطواتٍ منطقيّةٍ مُتتالية**، فكلُّ خطوة تمهّدُ للخطوة التي تليها؛ تبدأُ هذه الخطوات **بتحديد الفكرة** أو موضوع البحث، وتنتهي **بتحديد النّتائج** ونشرها، وقد تكون هذه النتائج قاعدةً أو نظريّةً أو قانوناً، وبين هذين الخطوتين خطواتٌ أخرى؛ ويُمكننا وصفُ هذه الخطوات جميعاً بالكبرى لأنّ كلّ خطوةٍ منها تضمّ خطواتٍ صغرى أو خطواتٍ جزئيّة؛ ومجموع هذه الخطوات الكليّة والجزئيّة هي التي تُحدّدُ **خطوات إعداد البحث**؛ ويُمكنُ إجمال هذه **الخطوات** فيما يأتي:[6]

---

(1) **يُنظر: نفسه**، مادّة (Loi)، ص126.

(2) **يُنظر: علم اللّغة: عبد الواحد وافي**، ص17.

(3) **يُنظر: نفسه**، ص17-18.

(4) **يُنظر: علم اللّغة: عبد الواحد وافي**، ص20.

(5) **يُنظر: أصول البحث العلمي (المنهج العلمي وأساليب كتابة البحوث والرّسائل العلميّة): أحمد عبد المنعم حسن**، ص29. **يُنظر أيضاً: ديناميكية البحث في العلوم الإنسانية: لمياء مرتاض نفوسي**، دار هومة للطّباعة والنّشر والتّوزيع-الجزائر، ط2، 2016م، ص28.

(6) **يُنظر: أصول البحث العلمي ومناهجه: أحمد بدر**، المكتبة الأكاديميّة-القاهرة-مصر، ط9، 1996م، ص112-114. **يُنظر أيضاً: البحث العلمي- أسسه، مناهجه وأساليبه وإجراءاته: ربحي مصطفى عليان**، ص27-28. **يُنظر أيضاً: أساليب البحث العلمي في العلوم الاجتماعية والإنسانية: فوزي**

- **الشّعور بالمشكلة وتحديد الفكرة:** والمقصود بذلك شعور الباحث بالحيرة أو الغموض أو الميل تّجاه موضوع معيّن، حيث تتبلور في ذهنه فكرة معيّنة، يشعر أنّها صالحة للدّراسة؛ وتبدأ هذه المرحلة **بالملاحظة الواعية لكلّ ما يقرأه الباحث أو يسمعه أو يُشاهده؛**
- تحديد **الإشكالية وصياغتها؛**
- **القراءة** والاطّلاع على **الدّراسات السّابقة** ذات العلاقة بهذه الفكرة؛
- **فرض الفروض:** وهي بمثابة **حلول أو نظريات** مقترحة عن طريق العقل، نتيجة تجارب أو ملاحظات شخصية، أو استنباطٍ من نظريّات قائمة؛
- تحديد **أبعاد الدّراسة وأهدافها ومبرّراتها؛**
- إعداد **خطّة بحث** مبدئيّة؛
- تحديد **المنهج** أو المناهج المناسبة؛
- **تحديد مصادر الدّراسة وجمع المادّة:** ويُقصد بها جمع المعلومات الخاصّة بالظاهرة المدروسة؛
- **تحليل البيانات والمعلومات إلى أجزاء صغيرة، يُمكن استنتاج أحكام عليها؛**
- **وصف تلك الأجزاء وتفسيرها وتحديد العلاقات** التي تربط بينها؛
- **فحص تلك الفروض من خلال تلك الجزئيات لتحديد الفرضيات الصّحيحة وإثباتها وإلغاء غيرها؛** ولا يُمكن اعتبار هذه النتائج **نهائية وكافية وشاملة** إلاّ إذا كانت قادرة على **تفسير وشرح جميع البيانات والحقائق التي تمّت ملاحظتها؛**
- **إعداد تقرير البحث وكتابته وعرض الفروض الصّحيحة على شكل قواعد عامّة أو نظريّات أو قوانين.**

الدرس الثامن: أنواع مناهج البحث العلمي وجدلية توظيف المنهج في العلوم الانسانية.

إنّ توظيف **المنهج** بمفهومه الحديث في العلوم الإنسانية، ومنها علوم اللّغة والأدب، قد أحدث جدلاً واسعاً عند الدارسين والباحثين؛ فمنهم من يرى أنّ المنهج العلمي بمبادئه وقواعده وبمفهومه الحديث يصلح توظيفه في العلوم الطبيعيّة والتطبيقيّة فقط دون غيرها من ميادين العلم الأخرى؛ إلاّ أنّ طبيعة العلوم الإنسانية، ومنها علوم اللّغة والأدب، لم تكن في

غرايبة وآخرون، ص19-30. **وكذلك: مناهج البحث العلمي (دليل الطالب في كتابة الأبحاث والرّسائل العلميّة): محمّد الشريف (عبد الله)**، ص33-46.

يوم من الأيّام حاجزاً أمام توظيف المنهج العلمي في البحث فيها كما يدّعي هؤلاء، بل على العكس من ذلك، فإنّ الدراسات والأبحاث في العلوم الإنسانية لم تصل إلى ما وصلت إليه من نتائج ومن قواعد ونظريات وقوانين إلاّ بالتوظيف الصحيح والسليم للمنهج العلميّ بمبادئه وقواعده؛ يقول **ربحي مصطفى عليان:** «ليست الطريقة العلمية أو المنهج العلمي في البحث وَقفًا على العلوم الطبيعيّة والعلوم التطبيقيّة كما يظنّ البعض، وإنّما يمكن تطبيقها في العلوم الاجتماعية والانسانية المختلفة، و**لكن الاختلاف في دقة النتائج يعود إلى طبيعة المشكلات التي تواجه البحث في العلوم الاجتماعية والانسانية**»[1]؛ وينطبق هذا على البحث في علوم اللّغة أيضًا؛ ولذلك يكادُ يتّفقُ علماء العربيّة الأوائل وعلماء اللّغة المحدثون على أنّه من الصّعوبة بمكان، **في بعض مجالات البحث اللّغويّ**، تحقيقُ الدقّة في **تحديد قوانين صارمة تحكمُ ظواهرها**[2] على غرار المستوى **الدّلالي**؛ يقول **عبد الواحد وافي:** «فكثيرٌ ممّن كشفوه لم يصل بعد في دقّته وضبطه وعمومه إلى المستوى الذي يستحقّ فيه اسم (**القوانين**) [...] وذلك أنّ **العوامل التي تؤثّر في معاني الكلمات وفي قواعد اللّغة وأساليبها فتؤدّي إلى اختلافها وتطوّرها** وما إلى ذلك، يرجعُ **أهمّها إلى ظواهر اجتماعيّة وتاريخيّة وسياسيّة وثقافيّة** وهلم جرا؛ وعواملُ هذا شأنها ليس من اليسير تحديد آثار كلّ منها وتحديد العلاقات التي تربطه بالظّواهر اللّغويّة»[3].

إنّ البحث اللّغويّ لا يبتعدُ كثيراً عن **البحث العلميّ** على اعتبار أنّ **اللّغة** في عصرنا الحديث تُدرسُ في **ذاتها ولذاتها دراسة علميّة**[4] يقول **عبد السلام المسدّي:** «إنّ **المعرفة العلمية للكلام** البشري هي **المفتاح الذهبي لكلّ أصناف المعارف** بلا استثناء، **فلعلم اللّسان اليوم خطر جليل في العلوم الكونيّة قاطبة**»[5]؛ ولذلك كان لزاماً على الباحثين أن يدرسوا اللّغة **وِفقَ مبادئ العلم وقواعده** وباتّباع **المناهج العلميّة** التي حدّدها العلم الحديث، إذْ أنّ ما يُعتبر خاصّية من خصائص البحث العلمي أو خطوة من خطواته، هو كذلك بالنسبة للبحث اللّغويّ؛ ولعلّ أهمّ عنصرٍ من عناصر اللّغة القابل لأن يخضع **لقواعد المنهج العلمي وللملاحظة والتجريب** هو عنصر "**الصّوت**"؛ ولذلك كان **المستوى الصّوتيّ**

---

(1) **البحث العلمي- أسسه، مناهجه وأساليبه وإجراءاته: ربحي مصطفى عليان**، ص25.

(2) **يُنظر: علم اللّغة: عبد الواحد وافي**، ص23. **يُنظر أيضاً: تاريخ النّحو العربي في المشرق والمغرب: محمّد المختار ولد ابّاه**، ص33.

(3) **علم اللّغة: عبد الواحد وافي**، ص23.

(4) **يُنظر: مدخل إلى علم اللّغة: محمود فهمي حجازي**، ص17. **يُنظر أيضاً: مباحث في اللّسانيات (مبحث صوتي؛ مبحث دلالي؛ مبحث تركيبي): أحمد حساني**، ديوان المطبوعات الجامعيّة-بن عكنون-الجزائر، 1999م، ص01. **وكذلك: مباحث في علم اللّغة ومناهج البحث اللّغويّ: نور الهدى لوشن**، المكتبة الجامعيّة-الأزاريطة-الأسكندريّة، 2000م، ص37.

(5) **مباحث تأسيسيّة في اللّسانيات: عبد السّلام المسدّي**، دار الكتاب الجديد المتّحدة-بيروت-لبنان، ط1، 2010م، ص10.

هو أقرب المستويات التي يُمكنُ من خلال البحث فيها الخلوص إلى **قوانين علميّة دقيقة**؛ وقد أرجع بعض الباحثين ذلك إلى عدّة عوامل من شأنها تسهيل عمليّة تحديد آثارها وتحديد العلاقات التي توجد بينها وبين مختلف الظّواهر اللّغويّة، منها:[1]

- ✓ أعضاء النّطق وطريقة أدائها لوظائفها؛
- ✓ تأثّر الظّواهر الصّوتيّة بالظّواهر الجغرافيّة؛
- ✓ أساليب انتقالها بطريق الوراثة من الأصول إلى الفروع.

إنّ التطوّر العلمي الذي تشهده البشريّة وتعدد الاختصاصات العلمية والمعرفيّة قد أدّى إلى **تعدّد المناهج العلميّة**، فهي تختلف باختلاف الظواهر والمشكلات المدروسة، وغالبًا ما تستقلّ **العلوم المختلفة عن بعضها في اختيار المنهج المناسب**، وقد تشترك في مناهج معيّنة وِفقَ ظروفٍ خاصّة تقتضيها طبيعة البحث وموضوعه؛ وعلى الرغم من العناية الكبيرة التي يوليها الباحثون لمناهج البحث العلمي فإنّهم لم يُجمعوا على وضع تصنيفٍ موحّد لها؛ إلاّ أنّ معظم ما يتمّ توظيفه في الدراسات اللّغويّة والأدبيّة هي المناهج الستّ الآتية: **التاريخي؛ المقارن؛ الوصفي؛ التقابلي؛ البنيويّ؛ النفسي؛ والاجتماعي**.

إنّنا عندما نتحدّث عن **المنهج التاريخي** (Méthode historique) أو **المقارن** (Méthode comparative) أو **الوصفي** (Méthode descriptive) أو **التقابلي** (Méthode contrastive) في الدّراسات اللّغويّة، فإنّنا نتحدّث عن عبارات اصطلاحيّة ظهرت عند الأوروبيّين في بداية القرن **التاسع عشر الميلادي**[2]، حيث **تغيّرت نظرة العلماء للّغة**، فبعدما كان العلماء قبل ذلك يهتمّون بمجالات محدودة كالبحث في أصل اللّغة والثّروة الكلامية وضخامة التراث القديم وغير ذلك[3]، **أصبحوا يدرسونها لذاتها وفي ذاتها دراسة علميّة تخضع لقواعد المنهج العلمي بمفهومه الدّقيق**، بعيداً عن الذّاتية وعن كلّ ما هو أجنبيٌّ عن اللّغة من منطقٍ فلسفيٍّ أو ميتافيزيقي.

---

[1] **يُنظر: علم اللّغة: عبد الواحد وافي**، ص23.

[2] **يُنظر: المدخل إلى علم اللّغة ومناهج البحث اللّغويّ: رمضان عبد التوّاب**، ص181.

[3] **يُنظر: نفسه**، ص181.

الدرس التاسع: المنهج التاريخيّ.

يكاد يتّفقُ علماء اللّغة المعاصرون والباحثون فيها على أنّ **اكتشاف إحدى اللّغات الهندوأوروبيّة القديمة**، وهي **اللّغة السنسكريتيّة** (Sanskrit)، في نهاية **القرن الثامن عشر** للميلاد، قد أحدث **نقطة تحوّلٍ كبيرة في الدّراسات اللّغويّة**؛ وقد بدأ ذلك التحوّل بدراسة اللّغة من **منظور تاريخي**، وهو ما يُعرفُ **بالمنهج التاريخي** ويُقابله باللّغة الأجنبيّة (Méthode historique)، أيْ أنّ الدّارس للّغة، وِفق هذا المنهج، يتتبّعُ **ظاهرة لغويّة** تاريخيّاً؛ يقول اللّساني الإيطالي الأمريكي **ماريو باي** (Mario Andrew Pei) (ت1978م): «أمّا **علم اللّغة التاريخي** فيتتبّع **تطوّر اللّغة وتغيّرها على مرّ الزّمن** (على سبيل المثال: تطوّر اللّغة اللاّتينيّة إلى اللّغات الرومانسية، أو الأنجلوسكسونية إلى الإنجليزية الحديثة)؛ وهناك مصطلح يُستعملُ مرادفاً لعلم اللّغة التاريخيّ وهو (Diachronic linguistics) مكوّنٌ من (Dia) بمعنى (**عَبْر**)، و(chronic) بمعنى (**زمن**)»[1]؛ وقد بدأ توظيف هذا النّوع من المناهج أواخر **القرن الثامن عشر للميلاد** بالرجوع إلى اللّغة **السنسكريتية** (Sanskrit) على أساس أنّها **المرجع الصّحيح** للعالِم الذي يبحث في اللّغات **الهندوأوروبية**، اعتقاداً منهم أنّه من العبث البحث في اللّغة من دون معرفة بهذه اللّغة المنقرضة[2]؛ ولذلك ارتبط البحث اللّغويّ في تلك الفترة **بالبحث في النّصوص والنّقوش القديمة**[3]، أيْ أنّه يبحث في الوثائق على اختلاف أنواعها من أجل الكشف عن الخصائص الأساس للّغات، وذلك **بتتبّع التغيّرات التي تطرأ على الكلام الإنساني**.

---

(1) **أسس علم اللّغة ومناهج البحث اللّغويّ: ماريو باي**، ترجمة وتعليق: أحمد مختار عمر، عالم الكتب-القاهرة، ط8، 1419هـ-1998م، ص36.

(2) **يُنظر: في المناهج اللّغويّة وإعداد الأبحاث: صالح بلعيد**، ص41.

(3) **هذا ما يُعرف في الدّرس اللّغويّ الحديث باسم الفيلولوجيا** (Philologie) وهي مركّبة من كلمتين أصلهما يوناني وهما (Philos) بمعنى (حب) و(logos) بمعنى (كلمة) أو (دراسة)، وقد استُخدمت الكلمة في الإنجليزية (Philology) ابتداءً من **القرن الرابع عشر للميلاد** بمعنى **دراسة التراث القديم**؛ ويهتمّ هذا العلم **بتحقيق النّصوص والمخطوطات وإعدادها للنّشر العلمي وفكّ رموز الكتابات القديمة** وغير ذلك، ولا شكّ أنّ هذا **العلم تقوم عليه الدراسات** والعلوم المختلفة التي تقوم على النّصوص **وليست اللّغويّة فقط**، وهو بذلك **يخرج عن ميدان اللّسانيات** (La linguistique) التي تُعنى **بدراسة النّصوص من جوانبها الصّوتيّة والصّرفيّة والنّحويّة والمعجميّة**، وهو مصطلح يرجع في أصله إلى اللّغة اللاّتينية وهو مكوّنٌ من (lingua) بمعنى (**اللّسان**) واللاّحقة (tique) بمعنى (**علم**)، وقد بدأ استخدام هذا المصطلح مع بداية **النّصف الثاني** من **القرن التّاسع عشر للميلاد**؛ ولذلك فإنّ **المنشغلين بالدراسات التّاريخية للّغة لم يكونوا يفرّقون بين العلمين في بداية الأمر**، ولم يتّضح الفرق بينهما إلاّ مع **بداية القرن العشرين**، عندما تنوّعت جوانب **البحث اللّغويّ** وتحتّم التخصّص على من يريد المشاركة في البحث العلمي؛ وبذلك أصبح **علم الفيلولوجي** (Philologie) يدلّ على **دراسة اللّغة والتراث ونقد النّصوص والفنّ والآثار والدّين**، وأصبح في **مركزٍ وسطٍ بين اللّسانيات** من جانبٍ و**الدّراسات الأدبيّة والإنسانيّة** من جانبٍ آخر، ومن **مجالاته: دراسة التاريخ الحضاري للّغة، وإعداد المعاجم بالإضافة إلى تحقيق النّصوص ودراسة الفولكلور والميثولوجيا**، أيْ أنّ هذا **العلم** يُعنى **بمجالين** يُكمّلان بعضهما بعضاً: **مجالٌ يُعنى بإعداد المعاجم**، وآخر **يُعنى بتحقيق النّصوص وتفسيرها ونقد المؤلّفات الأدبيّة اعتماداً على دراسة لغتها. يُنظر: أسس علم اللّغة العربيّة: محمود فهمي حجازي**، ص30-34.

ولقد تزامن ظهور هذا **المنهج** في الدّراسات اللّغويّة مع بروز **نظريّة النّشوء والارتقاء** للجيولوجي البريطاني **داروين** (Charles Darwin) (ت1882م)، التي ابتدعها في ذلك العصر، وحاول العلماء **إخضاع اللّغة لتلك النّظريّة**، مِثلهم في ذلك مثل غيرهم من العلماء في المجالات الأخرى، فبدأ علماء اللّغة يبحثون في **التطوّرات التي تحدُثُ على اللّغة، وفي تاريخ ألفاظها**[1]، وغير ذلك ممّا يندرج ضمن البحث في اللّغات القديمة.

ويتمثّلُ **المنهج التاريخي** في **القواعد والإجراءات** التي يتبعها الباحث في **جمع المادة التاريخية ودراستها ونقدها وتحليلها**، ثم **استخلاص النتائج والتعميمات** منها؛ لذلك فإن **المنهج التاريخي في الدّراسات اللّغويّة** يقوم **بتتبع الظاهرة اللّغويّة خلال فترة زمنية معينة**، وكذا **دراسة العوامل التي تأثرت بها في الفترات الزمنية اللاّحقة**، وصولاً إلى دراستها في **وضعها القائم**، وذلك بهدف **تفسيرها في سياقها التاريخي واستخلاص النتائج المترتبة عنها بما يتيح الفهم المتعمق لماضيها والتعرف الموضوعي لاتجاهاتها في المستقبل**[2]؛ أيْ أنه يسمح بحل مشكلات معاصرة على ضوء خبرات الماضي ويسمح بإعادة النظر في البيانات وتقييمها بالنسبة لفروض معينة أو نظريات قائمة، وهذا ما يُبرزُ **أهميّة هذا المنهج في الدّراسات اللّغويّة**. ومن هنا تبدو الصلة بين هذا **المنهج التاريخي** وبين **التاريخ بوصفه العلم الذي يهتمّ** بدراسة **الماضي**، حيث يسعى **المؤرّخ** إلى تقديم **وصفٍ دقيقٍ وموضوعيّ لماضي الإنسانية والأحداث التاريخيّة** التي مرّت بها وما خلّفته من آثارٍ وحضارات، مُحاولاً **ربطها بسياقٍ زمنيّ معيّن** بطريقةٍ **استقرائيّة** يغلبُ عليها طابع **التحليل والكشف عن العلاقات السّببيّة للأحداث**[2]؛ وفي البحوث التاريخية يجب أن يلتزم الكاتب بعرض المادة التاريخية عرضاً أميناً وموضوعياً مبتعداً عن المبالغة والتهويل.

ويعتمد المنهج التاريخي في العصر الحديث على اللغة المكتوبة اعتقادا من أصحابه أن اللغة المنطوقة لا تمثل إلا شيئا مخادعا، فيعتمد على المخطوطات والنقوش المحفوظة على الأحجار وأوراق البردي وألواح الطين، وغير ذلك[3].

يتبع هذا المنهج دراسة **حالات تطور البنية والتراكيب والدلالة مع الاهتمام بمدى تأثير الإقليم الجغرافي على الظاهرة اللغوية عبر التاريخ**، فيهتم بوصف وتسجيل ما اعترى تلك الظّاهرة من تغيّرات في الماضي، ويقوم بدراستها وتفسيرها وتحليلها على أسس علمية دقيقة، حيث تجعل الباحث يشعر بالمشكلة ويقوم بتحديدها، ويصيغ الفرضيات المناسبة ويدرسها ويحللها قصد الوصول إلى حقائق وتعميمات تساعده على فهم الحاضر على ضوء الماضي؛ ومن أمثلة ذلك

---

(1) **يُنظر: في المناهج اللّغويّة وإعداد الأبحاث: صالح بلعيد**، ص41.

(2) **يُنظر: منهجيّة البحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية: خالد حامد**، جسور للنّشر والتّوزيع-الجزائر، ط2، 1433هـ-2012م، ص53.

(3) **يُنظر: علم اللّسانيات التطبيقيّة: عبد القادر عبد الجليل**، ص127.

اختيار مجموعةٍ من الألفاظ ودراسة دلالتها في الشعر الجاهلي ثم تطورها في العصور الإسلامية إلى عصرنا الحاضر، أو دراسة التغيّرات التي تطرأ عليها من حيث خصائصها الصّوتيّة أو الصّرفيّة أو النّحويّة.

1- مجالات البحث اللّغويّ وِفْقَ المنهج التاريخي.

يُمكن تحديد أهمّ **مجالات البحث اللّغويّ** وِفْقَ هذا **المنهج في البحث في:**[1]

- ✓ تطوّر اللّغة الواحدة عبر القرون في جميع جوانبها؛
- ✓ حركة اللّغة وتطوّرها على مرّ الأزمنة وتغيّر الأمكنة؛
- ✓ تطوّر اللّغة وحياتها في المجتمع؛
- ✓ ارتباط اللّغة بوظيفتها في الجماعة اللّغويّة؛
- ✓ مستويات الاستخدام اللّغويّ المختلفة في حياة كلّ لغة؛
- ✓ أثر الاستخدام اللّغويّ في بنيتها؛
- ✓ أهميّة اللّغة الحضاريّة ومكانتها بين اللّغات؛
- ✓ الأصول التاريخيّة لكثير من الظّواهر اللّغويّة؛
- ✓ التغيّرات التي تطرأ على أنظمة اللّغة في مستوياتها الأربعة: الصّوتيّة والصّرفيّة والنّحويّة والدّلالية؛ مع رصد العوامل المؤثّرة في تلك التغيّرات.

2- مجالات البحث اللّغويّ التي تُفيد منَ المنهج التاريخي.

يُمكنُ أن يُفيد **المنهج التاريخي مجالات** كثيرة **للبحث اللّغويّ** على غرار:[2]

- ✓ الدّراسات المعجميّة للوصول إلى بناء معاجم لغويّة تكمّل معاجمنا القديمة؛
- ✓ التمييز بين الأصيل من المعرب والدّخيل؛
- ✓ تتبّع حياة اللّفظ العربي عبر العصور وتحديد التغيّرات التي طرأت عليه في كلّ عصر من عمر اللّغة شكلاً ومضمونا؛

---

[1] **يُنظر: في المناهج اللّغويّة وإعداد البحوث: صالح بلعيد،** ص46. **يُنظر أيضاً: منهج البحث الأدبي واللّغوي: محمّد علي عبد الكريم الرديني وشلتاغ عبود،** ص201-203.

[2] **يُنظر: في المناهج اللّغويّة وإعداد البحوث: صالح بلعيد،** ص42-43. **يُنظر أيضاً: منهج البحث الأدبي واللّغوي: محمّد علي عبد الكريم الرديني وشلتاغ عبود،** ص201-203.

- ✓ التعرّف على ما غاب من ألفاظ عن أفق الاستعمال، وما انحصر استعماله على فنّ معيّن أو حرفة مخصوصة أو ظروف بيئيّة، وتحديد الأسباب والعوامل التي أدّت لذلك؛
- ✓ بناء المعجم التاريخي الذي لا يزال غائباً عن السّاحة العربيّة، والذي يُعتبر موسوعة يُفيد كافّة الموضوعات؛
- ✓ إنجاز الذّخيرة العربيّة من تراثنا العميق؛
- ✓ معرفة المستعمل من المهجور في الصّيغ الصّرفيّة، وما طرأ عيها من تغيّر؛
- ✓ البحث في مجال النّحو وما دخله من عوامل التفاعل الدّاخلي، وما طرأ عليه من بواعث خارجيّة، وما أكسبته العلّة النّحويّة؛
- ✓ التعرّف على ما هو ثابت في النّحو وما هو متغيّر، بمتابعة كلّ تغيّر في حركة النّحو أو سكونه في كلّ مرحلة زمنيّة، وفي كلّ بيئة مكانيّة، وتحت تأثير مختلف العوامل داخلية كانت أم خارجية، مع تقديم التّفسير المقنع لذلك التطوّر.

3- طبيعة وخصائص المنهج التاريخي:[1]

- ✓ البحث في لغة ما وفي مكان محدّد، في مراحل زمنية مختلفة لبيان التغيّرات التي لحقتها، وتحديد الأسباب والنتائج؛
- ✓ يعتمد على اللّغة المكتوبة لا المنطوقة، لعدم توافر المادّة المنطوقة للمراحل الزمنية السّابقة، فهي غير مسجّلة، وإنّما نُقِلَتْ إلينا بواسطة الخط المكتوب؛
- ✓ يرى أتباع المنهج التاريخي أنّ اللّغة المنطوقة شيء خدّاع، وما يستحق الدّراسة هو الثّابت، والثّابت هو المكتوب على الأحجار والصّخور والطين والورق؛

4- خطوات المنهج التاريخي:[2]

- ✓ اختيار مراحل تاريخيّة محدّدة، مع ضرورة عدم تجاوزها وعدم تجاوز المكان والمستوى المحدّدين، لكي لا تضطرب النتائج؛
- ✓ دراسة الموضوع على حدة دراسةً وصفية في كلّ مرحلة؛
- ✓ المقارنة بين المراحل لتحديد التغيّرات التي حدثت.

---

[1] **يُنظر: في المناهج اللّغويّة وإعداد البحوث: صالح بلعيد**، ص43-44.

[2] **يُنظر: في المناهج اللّغويّة وإعداد البحوث: صالح بلعيد**، ص43-44.

ومن خلال الذي تمّ ذكره في هذا الدرس نرى أنّ توظيف **المنهج التاريخي** في **الدّراسات اللّغويّة** قد مهّد بشكلٍ واضحٍ لظهور **منهجٍ آخر** ذي صلةٍ وثيقة به، وهو **المنهج المقارن** الذي مكّن العلماء من تصنيف اللّغات إلى **مجموعات أسريّة**، تضمّ كلّ أسرة مجموعة من لغات العالم تشترك فيما بينها بخصائص لغويّة معيّنة.

الدرس العاشر: المنهج المقارن.

علمنا من **الدرس السّابق** أنّ **المنهج التاريخي** بدأ توظيفه عند علماء الغرب بدْءًا من أواخر **القرن الثامن عشر للميلاد**، على إثر اكتشاف اللّغة **السنسكريتية** (Sanskrit)، حيثُ رأى فيها العلماءُ حينئذٍ أنّها **المرجع الصّحيح** للعالِم الذي يبحث في اللّغات **الهندوأوروبية**، فبدأوا يدرسون تلك اللّغات **دراسة تاريخيّة**، وهو الأمر الذي أدّى بهم بعد ذلك إلى أن يلجؤوا إلى **مقارنتها باللّغات الأوروبيّة اللاّتينيّة والإغريقيّة والجرمانية**، ولاحظوا **أوجه التشابه بينها**، فحاولوا أن يحدّدوا **اللّغة الأمّ**، بتحديد **أوجه الاتّفاق بين العناصر اللّغويّة لتلك اللّغات**[1]، أيْ أنّهم أصبحوا، بفضل تلك الدّراسات التاريخيّة، على يقين شبه تامّ بأنّ تلك اللّغات تفرّعت عن أصلٍ واحدٍ ثمّ احتفظت جميعها ببعض سمات **اللّغة الأمّ**، ومن ثمّ اتّجهت أنظار العلماء نحو **منهجٍ آخر يستطيعون بفضلها تحديد الأسر اللّغويّة لجميع لغات العالم**، وهو **المنهج المقارن** (Méthode comparative).

وبذلك نرى أنّ **المنهج المقارن** هو في الحقيقة **امتدادٌ للمنهج التاريخي**، وأنّه قد نمى في أحضانه[2] لأنهما ظهرا في وقتٍ متقاربٍ جدّاً.

إنّ **الهدف الأساس** من **البحث اللّغويّ وِفقَ المنهج المقارن** هو **إقامة قوانين تحكم تلك التغيّرات** التي طرأت على اللّغات التي تندرج ضمن اللّغة الأمّ؛ يقول **محمود فهمي حجازي**: «**قد يحدثُ تغيّرٌ في المكوّنات الصّوتيّة** يجعلُ لغةً من اللّغات تختلف في مرحلة من مراحل تطوّرها عن اللّغة الأمّ التي انحدرت عنها، وهنا يُحاول اللّغويّون تسجيل هذا التغيّر الصوتيّ ويُطلقُ عليها اسم "**القوانين الصّوتيّة**"؛ وقد تنمو **الصّيغُ الصّرفيّة** وتتغيّر أشكالها وتنشأ من العناصر القديمة كلمات جديدة، وهنا يبحثُ اللّغويّون مدى الاتّفاق والتّشابه في الصّيغ الصّرفيّة بين اللّغات المندرجة في أسرة لغويّة واحدة بهدف **إثبات اتّجاهات التغيّر الصّرفي**؛ ومثل هذا يُقال بالنّسبة **للتغيّر الدّلالي** فإنّ دلالة الكلمات تتغيّر وتختلفُ بشكلٍ ما في اللّغات المختلفة التي خرجت عن أصلٍ واحدٍ مشتركٍ، وهنا تكون **مقارنة الكلمات المشتركة بدلالاتها**

---

[1] **يُنظر: منهج البحث الأدبي واللّغوي: محمّد علي عبد الكريم الرديني وشلتاغ عبود**، ص201-203.

[2] **يُنظر: في المناهج اللّغويّة وإعداد البحوث: صالح بلعيد**، ص48.

المتغيّرة في لغات الأسرة الواحدة موضوعاً من موضوعات **البحث المقارن**»؛ وبذلك يكون **المنهج المقارن مكمّلاً للمنهج التاريخي**، أيْ أنّ **المنهج المقارن** يُمكّنُ الباحث من تفسير عدد من الظواهر في لغةٍ معيّنة، كان عجز عن تفسيرها بتوظيف **المنهج التاريخي** وحده.

1- مميّزات المنهج المقارن.

لقد حدّد الباحثون في اللّغة العناصر التي يتميّز بها **المنهج المقارن** عن **التاريخي**، والتي يُمكنُ تلخيصها فيما يأتي:[1]

- ✓ **يركّزُ على بحث الظّاهرة** اللّغويّة **في أكثر من لغة**.
- ✓ **يركّزُ بشكل خاصٍّ** على بحث الظّاهرة في **اللّغات التي تنتمي إلى أصلٍ واحدٍ**، كاللّغات السّامية أو الحامية أو الهندية الأوروبية.
- ✓ **هدفه التأصيل التاريخيّ**، كأن يستدلّ على قِدَم الظّاهرة بالتماسها في أخواتها، أو حداثتها بتفرّد اللّفظة المعنيّة بها من بين أخواتها بحسب تاريخ حياة تلك اللّغة.

2- الفصائل اللّغويّة.

إنّ من أعظم ثمرات توظيف هذا **المنهج في البحث اللّغويّ** هو تلك التصنيفات التي تُقسّم اللّغات إلى فصائل؛ فلقد فطن كثير من العلماء إلى صلات القرابة التي تربط اللّغات **الهندية والآرية والأوروبية** بعضها ببعضٍ، وإلى الصّفات التي يشترك فيها أفراد الفصيلة **الحامية السّامية**؛ واستمرّ البحث **اللّغويّ طويلاً من أجل تحديد أهمّ الفصائل اللّغويّة للغات العالم**، إلى أن اكتمل على يدَيْ المستشرق اللّغويّ الألماني **مكس مولر** (Max Muller) (ت1900م) بنظريّته التي تُرجعُ جميع اللّغات الإنسانية إلى **ثلاث فصائل**، هي:[2]

أ- **الفصيلة الهندية الأوروبية** (Langues Indo-Européennes): وتشتملُ على **ثمان طوائف** من اللّغات، هي: اللّغات **الهندية الإيرانية** أو اللّغات **الآرية**؛ اللّغات **الأرمينية**؛ اللّغات **الإغريقية**؛ **الألبانية**؛ **الإيطالية**؛ **السلتية** أو **الكلتية**؛ **الجرمانية**؛ واللّغات **البلطيقية السلافية**؛ وكلّ طائفة تضمّ مجموعة من اللّغات؛

ب- **الفصيلة السّامية الحامية** (Langues Chamito-Sémitiques): وتشتملُ على: اللّغات **السّامية الشمالية** كالأكادية والأشورية والعبرية وغيرها؛ **السّامية الجنوبية** كالعربية واليمنية القديمة والحبشية السامية؛ اللّغات **الحامية**

---

[1] **يُنظر: المستشرقون والمناهج اللّغويّة: إسماعيل أحمد عَمايرة**، دار حنين-عمان-الأردن، ط2، 1992م، ص41.

[2] **يُنظر: علم اللّغة: علي عبد الواحد وافي**، ص196-216.

وتضمّ: اللّغات **المصرية؛ اللّيبية أو البربرية** كالجزائر وليبيا والمغرب وغيرها؛ و**الكوشتيتية** كالصومالية والأجاو وغيرها؛

ج- **الفصيلة الطورانية** (Langues Touraniennes): وهو اسم أطلقه **مكس مولر** على **طائفة من اللّغات الآسيوية والأوروبية** التي **لا يُمكن تصنيفها ضمن الفصيلتين السابقتين**، لأنّه لا يجمع بينها صلات تشابه أو قرابة؛ ولذلك عمد علماء اللّغة المحدثون إلى هذه اللّغات التي بقيت خارج الفصيلتين ووزّعوها إلى **تسع عشرة فصيلة**، يجمع بين أفراد كلّ فصيلة منها صلات تشابه وقرابة لغوية.

3- مجالات البحث اللّغويّ وِفْقَ المنهج المقارن.

يُمكنُ تحديد أهمّ **مجالات البحث اللّغويّ** بتوظيف **المنهج المقارن** فيما يأتي:[1]

- ✓ **البحث عن اللّغة الأولى للبشر؛**
- ✓ **مقارنة الظواهر اللّغويّة** التي تكشف عن مواطن الاتّفاق والاختلاف؛
- ✓ **تحديد الرّوابط والعلاقات** بين اللّغات المقارنة؛
- ✓ **الكشوف الجغرافية والاغتراب عن الأوطان**، و**التحقّق** من **بعض القضايا التاريخيّة؛**
- ✓ **النّظرة القوميّة؛**
- ✓ **علم الآثار والبحث عن تاريخ الحضارات القديمة.**

4- مجالات البحث اللّغويّ التي تُفيد منَ المنهج المقارن.

يُمكنُ تحديد أهمّ **مجالات البحث اللّغويّ** التي تُفيد من **المنهج المقارن** فيما يأتي:[2]

- ✓ **معرفة بعض القضايا التي لم يتمكّن القدامى من اكتشافها**، وخاصّة إذا أخضعنا الألواح والنّقوش القديمة للدّراسات المعلوماتية؛
- ✓ **التمييز بين العربيّ الخالص والعربيّ المشترك** بين اللّغات الجزرية كالأكدية والعبرية والسّريانية والعربيّة الجنوبية؛
- ✓ **التمييز بين العربيّ الأصيل والدّخيل** الذي وفد إلى العربيّة من اللّغات الأخرى كالفارسية والتركية والإغريقية واللّغات الأوروبيّة؛
- ✓ **مجال الدّلالة بمقارنة العربيّة باللّغات السّامية لتصحيح** ما وقع فيه اللّغويّون الأوائل من **أخطاء؛**

---

[1] **يُنظر: في المناهج اللّغويّة وإعداد البحوث: صالح بلعيد**، ص50.

[2] **يُنظر: في المناهج اللّغويّة وإعداد البحوث: صالح بلعيد**، ص51.

✓ **توقّع المستقبل للألفاظ العربيّة أو الدّخيلة**، ومدى نجاعتها من عدمها، ثمّ وضع قاعدة لوضع المصطلحات في العربيّة.

وختاماً لما تمّ ذكره نُلاحظُ أنّ كلا **المنهجين "التاريخي" و"المقارن"** لم يستغن أيٌّ منها عن **الوصف**، أيْ أنّ الباحث اللّغويّ لا بدّ له من وصف الظواهر اللّغويّة المدروسة أثناء تتبّعها تاريخيّاً أو أثناء مقارنتها مع ظواهر مشابهة لها في لغة تنتمي إلى الفصيلة نفسها.

الدرس الحادي عشر: المنهج الوصفيّ.

تعتمد الدّراسات اللّغويّة منذ نشأتها بصفة كاملة على **الوصف**؛ والوصف كما رأينا في الدروس السّابقة هو **أوّل أهداف العلم**، ولا يكتفي العلم بالوصف فقط، بل لابدُّ من **تفسير** ما يتمّ وصفه؛ وإذا كان الوصفُ عنصرًا أساسا في الأبحاث اللّغويّة، وإذا كان علماء اللّغة القدامى قد وظّفوه بطريقة تُلفتُ النّظر وتفرض التقدير والاحترام؛ فإنّ **علماء القرن العشرين في أوروبا** قد خصّوه بمنهجٍ مستقلٍّ له خصائصه ومقوّماته أسمَوه **المنهج الوصفي** ويُقابله في الاصطلاح الأجنبيّ (Méthode descriptive).

فلقد دأب العلماء في القرن التّاسع عشر للميلاد على البحث في اللّغة بتوظيف المنهجين **التاريخي والمقارن**، كما رأينا في الدرسين السّابقين، ولم ينتبهوا إلى أنّه بالإمكان دراسة اللّغة على نحوٍ علميٍّ أكثر دقّةً ممّا سبق، وهو بإخضاعها **للدّراسة الآنية**، أيْ بدراسة **الظاهرة اللّغوية في لغة معينة وفي فترة زمنيّةٍ محددة**؛ وذلك **بملاحظة تلك الظاهرة ووصفها وتفسيرها، والحديث عن جوانبها وكشف حقائقها وخصائصها**، للوصول إلى أسبابها والعوامل التي تتحكم فيها، واستخلاص النتائج ومن ثمّ تعميمها؛ إلاّ أنّ الباحث السويسري **دي سوسير** (Ferdinand de Saussure) (ت1913م) في **القرن العشرين** رأى أنّ هذا الاتّجاه هو الأصحّ في دراسة اللّغة للوصول إلى **حقائق علميّة دقيقة**، وذلك بفضل منهج آخر يختلف عن المنهجين السّابقين هو **المنهج الوصفي** (Méthode descriptive)، وأطلق على علم اللّغة الذي يُوظّف هذا المنهج عبارة (Linguistique synchronique) أي **اللّسانيات الوصفية**؛ وهي عبارة ترجع إلى **الأصل اليوناني** مركبّة من جزأين (Syn) بمعنى (معًا) و(chronos) بمعنى (زمن)، أيْ أنّ الدراسة تحدث في الوقت نفسه[1]؛ وبهذا فإنّ المبدأ الذي ينطلقُ منه **المنهج الوصفيّ** يختلف جذريًّا عن ذلك المبدأ الذي يعمل وِفقه **المنهجان**

[1] **يُنظر: أسس علم اللّغة العربيّة: محمود فهمي حجازي**، ص37.

"التاريخي" و**"المقارن"**، إذْ أنّ الباحث اللّغويّ **بالمنهج الوصفي** لا يُلقي بالاً إلى الظاهرة المدروسة في الفترات الزّمنيّة المتلاحقة، والتي من الأكيد أن تحدث عليها بعض التغيّرات بفعل التباين الزمني، وإنّما **يدرس الظّاهرة في وقتٍ محدّد لا يتجاوزه، ويدرسها كما هي عليه لا كما يجبُ أن تكون**؛ كما أنّه لا يُلقي بالاً إلى الظاهرة في لغتين مختلفين فيلجأ حينئذٍ إلى مقارنتها بأختها في اللّغة الأخرى، وإنّما يكتفي **بدراستها في لغةٍ واحدةٍ لا يتجاوزها**؛ يقول **رمضان عبد التوّاب**: «يكتفي (**المنهج الوصفي**) **بوصفِ أيّة لغةٍ من اللّغات عند شعبٍ من الشّعوب، أو لهجةٍ من اللّهجات، في وقتٍ معيّنٍ**، أيْ أنّه يبحث اللّغة عَرْضيّاً لا طوليّاً، ويصفُ ما فيها من ظواهر لغويّةٍ مختلفة، ويُسجّلُ الواقعَ اللّغويّ تسجيلاً أميناً؛ بل إنّ **أنطوان مييه** (A.Meillet) يذهبُ إلى أبعد من هذا، حين يرى أنّ **المنهج الوصفي** يُعنى **بدراسة الاستعمال اللّغويّ** في عمومه عند **شخصٍ بعينه في زمانٍ بعينه ومكانٍ بعينه**»[1].

وبذلك فإنّ أيّة دراسة صوتيّة أو صرفيّة أو نحويّة أو دلالية لإحدى اللّهجات القديمة أو الوسيطة أو الحديثة تُعدُّ **دراسةً وصفيّةً**، بشرط أن تكون في **فترة زمنيّةٍ محدّدةٍ**، وهذا **الشرطُ ضروريٌّ لتحقيق نتائج علميّةٍ دقيقة**، لأنّ عامل الزمن يؤثّر في تغيّر الظاهرة المدروسة، وهذا التغيّر يُعطي نتائج غير دقيقة في تحديد خصائص تلك الظّاهرة؛ وهكذا يكون **المنهج الوصفيّ** قد دفعَ بعجلة العلم في اللّغة دفعةً قويّةً نحو الدقّة العلميّة.

1- المدارس اللّسانية التي تبنّت المنهج الوصفيّ.

لقد شهد القرن **العشرون مدارس لسانية متعدّدة** تبنّت **المنهج الوصفيّ** في أبحاثها اللّغويّة، وهي:[2]

أ- المدرسة البنيويّة (Linguistique structurale): وأوّل روّادها هو **دي سوسير**، وقد تأثّر **بنظريّة دي سوسير** العالم الأنثروبولوجي الأمريكي **فرانز بوعز** (Franz Boas) (ت1942م)، ثمّ اللّساني الأنثروبولوجي الأمريكي **إدوارد سابير** (Edward Sapir) (ت1939م)، ثمّ اللّساني الأمريكي **بلومفيلد** (Leonard Bloomfield) (ت1949م) الذي أسهم في تطوير المدرسة اللّغويّة البنيويّة؛

ب- مدرسة النّحو التوليدي التحويلي: وقد رفضت هذه المدرسة كثيراً من الأسس التي ارتضتها المدرسة البنيويّة، ومن ذلك أنّ الكثير من البنيويّين قد استبعدوا **المعنى** في دراساتهم للّغة واهتمّوا **بالشّكل الخارجي** لها، بينما **المعنى** بالنّسبة **للتّحويليّين** أمرٌ ضروريٌّ في شرح العلاقة بين الجمل التي تحمل المعنى نفسه وتختلف في ظاهر تراكيبها؛ وعلى رأس هذه المدرسة اللّسانيّ الأمريكي **هاريس** (Zellig Harris) (ت1992م) وتلميذه **تشومسكي**

---

[1] **المدخل إلى علم اللّغة ومناهج البحث اللّغويّ: رمضان عبد التوّاب**، ص181.

[2] **يُنظر: المدخل إلى علم اللّغة ومناهج البحث اللّغويّ: رمضان عبد التوّاب**، ص182-196.

(Noam Chomsky) (المولود بتاريخ 1928/12/07م)، ويُعدّ الأوّل الأب الحقيق **لعلم اللّغة التحويلي**، والثاني الأب الحقيق **لعلم اللّغة التوليدي**؛ وقد لا حظ **تشومسكي** أنّ **المنهج البنيوي** الذي **يتمتّع بشيء من الجدوى في دراسة الفونيمات والمورفيمات، لا يتوافق مع دراسة الجمل**، لأنّ كلّ لغة بها عدد محدود من الفونيمات والمورفيمات، غير أنّ عدد الجمل في أيّ لغة واقعيّة هو عدد غير متناه، إذْ ليس هناك حدّ لعدد الجمل الجديدة التي يُمكن إنشاؤها، والمدرسة البنيويّة لا تستطيع تفسير ذلك؛

ج- **مدرسة القوالب**: تُشارك هذه المدرسة **تشومسكي** وُجهة نظره القائلة **بوجود جانبين في دراسة اللّغة**، هما: **الكفاءة والأداء**، وترى هذه المدرسة أنّ مهمّة علم القواعد في أسسه الأوّليّة تتمثّل في إعطاء نموذج أو لنقل صورة **لجانب الكفاءة**، وهو جانبٌ غير واع في معظمه، شأنه في ذلك شأن استعمال النّاس للّغة بالاعتماد على آثاره التي تتجلّى في **جانب الأداء الذي تسهل ملاحظته ورصده**، وترى أيضاً أنّ **التحليل اللّغويّ** يعني **طائفة من الإجراءات لوصف اللّغة**، ويعتمد على **وحدة نحويّة** أساس تُسمّى (**القالب**)، وترد هذه الوحدة ضمن **مركّب على هيئة سلسلة**، وتقع **ضمن مستويات معيّنة** من **المستويات النّحويّة**؛ وأشهر علماء هذه المدرسة هو اللّسانيّ الأمريكي **كينيث بايك** (Kenneth Lee Pike) (ت2000م).

وبذلك نرى أنّه، وإنْ كان بإمكان **المنهج الوصفي** أنْ يستقلّ عن المناهج الأخرى في دراسة **أصوات اللّغة**، إلاّ أنّ ذلك يتعذّرُ في حال **التراكيب**، إذْ أنّه بحاجةٍ ماسّة إلى **المنهج التاريخي** للوصول إلى **نتائج علميّة دقيقة ومنطقيّة**؛ يقول **رمضان عبد التوّاب**: «إنّ **عرض نحو أيّة لغة** يكتفي إن أراد الاقتصار على هذه اللّغة **بوصفها**؛ غير أنّ **تعليل الظواهر** التي توجد في هذه اللّغة يظلّ أمراً بالغ الصّعوبة، إذا لم يعرف لهذه اللّغة **فترات تاريخيّة** متباعدة يُمكنُ المقارنة بينها ومعرفة **صور التطوّر النّاتجة عبر الأجيال الكثيرة**؛ وعندئذٍ يُمكنُ الكشفُ عن السرّ الذي يكمنُ وراء إحدى صور هذا التطوّر»[1]؛ وهكذا نرى بأنّ الصّلة وثيقة بين هذين المنهجين ولا غنى للباحث في اللّغة عنهما من الناحية العمليّة، يقول **ماريو باي**: «وبينما الوظيفة الأولى **لعلم اللّغة الوصفي** هي أن **يصف**، و**لعلم اللّغة التاريخي** هي أن يعرض **التغيّرات اللّغويّة**، فمن **الصّعب كثيراً الفصل بين النّوعين في مجال التطبيق العملي**؛ وذلك لأنّ كلّ المصطلحات التي استُعملت تحت العنوان الوصفي قابلة من الناحية العمليّة للاستعمال كذلك مع الفرع التاريخي»[2]، ولذلك فإنّ **المنهج الوصفي**

---

[1] **المدخل إلى علم اللّغة ومناهج البحث اللّغويّ: رمضان عبد التوّاب**، ص196.

[2] **أسس علم اللّغة ومناهج البحث اللّغويّ: ماريو باي**، ص137.

يشتمل على عدد من المناهج الفرعية والأساليب المساعدة، كأن يعتمد على دراسة الحالة أو الدراسة الميدانية أو التاريخية[1].

إن المتتبع لتطور العلوم يستطيع أن يلمس الأهمية التي احتلها **المنهج الوصفي** في هذا **التطور**، ويعزى ذلك إلى ملامسته القريبة جدّاً لدراسة الظواهر اللّغويّة، لأن هذا المنهج يصف الظواهر **وصفا موضوعيا** من خلال **البيانات** التي يتحصل عليها باستخدام أدوات وتقنيات البحث العلمي؛ ولا يقتصر **المنهج الوصفي** على التعرف على معالم الظاهرة وتحديد أسباب وجودها، وإنما يشمل كذلك تحليل البيانات وقياسها وتفسيرها والتوصل إلى وصف دقيق للظاهرة ولنتائجها؛ ويرجعُ الفضل في توظيف هذا **المنهج**، كما ذكرنا، إلى العالم السويسري **دي سوسير** الذي اعتمده في دراسته ودعا إلى **وصف اللغة كما هي وليس كما يجب أن تكون**، واهتم في تأسيس **نظريته** على **التمييز بين الكثير من الثنائيات أو التناقضات**، واعتمد في دراسته على **اللغة المنطوقة**.

2- أسس المنهج الوصفي.

يقوم **المنهج الوصفي على أسس ثلاثة**، هي: **الاستقراء** و**التصنيف** و**التقعيد**؛ ولكلّ أساس **شروطه**[2] في هذا المنهج.

أ- الاستقراء: حيث يُقيم الواصفُ دراستَه على **الوقوف على الكيفيّة التي تُنفّذ بها اللّغة على ألسنة المتكلّمين**، ويُشترط في ذلك:

- ✓ الاعتماد على معطيات لغويّة مستعملة فعلاً؛
- ✓ الاتّصال المباشر بالمتكلّمين والسّماع من أفواههم، وتدوين المسموع؛
- ✓ الاعتماد في العمل الميداني على **المتكلّم الأصلي**، وهو الراوي أو مساعد الباحث؛
- ✓ أن يكون **الرّاوي ممثِّلاً صادقاً للّغة أو اللّهجة المدروسة**، بأن يكون ممّن نشئوا في ظلّ هذه اللّغة قيد الدّراسة؛ ومن الأفضل ألاّ يكون قد خرج من المنطقة التي تتكلّم بها، لأنّ كثرة الأسفار والتعرّض للاحتكاك باللّهجات الأخرى يجعل المرء عرضةً للتغيّر في نطقه؛
- ✓ يحْسُنُ أن يكون الرّاوي أميّاً حتّى لا يتأثّر بالعوامل الثقافية في تمثيله الصّحيح.

ب- التصنيف: وهو الأساس الثاني الذي يلي عمليّة الاستقراء، ويُقصدُ به تقسيم المادّة اللّغويّة، ويُشترط في ذلك:

---

[1] **يُنظر: منهج البحث الأدبيّ: علي جواد الطّاهر**، ص22.

[2] **يُنظر: في المناهج اللّغويّة وإعداد البحوث: صالح بلعيد**، ص58-59.

- ✓ **الملاحظة الدّقيقة** للمادّة اللّغويّة المستقرأة؛
- ✓ تحديد أوجه **الاتّفاق** و**الاختلاف** بين جزئيات هذه المادّة؛
- ✓ جمع ما يتوافق منها في **الشّكل** أو في **الوظيفة** وجعلها **قسماً بذاته**، ثمّ تسميته **باسم معيّن**.

ج- **التقعيد**: وهو وضع القواعد المناسبة لما لاحظه الواصفُ بعد الاستقراء والتصنيف، ويُشترط فيه:

- ✓ أن لا تكون القاعدة بمثابة القانون المفروض على المتكلّمين باللّغة المدروسة؛
- ✓ صياغة القاعدة بعبارة مختصرة قدر الإمكان؛
- ✓ أن تتّصف القاعدة بالعموم، وليس من الضّروري أن تتّصف بالشمول؛ فإذا ظهرت حالة تُخالفُ القاعدة عُدّت ظاهرة فرعيّة إلى جانب القاعدة، وقد تعضدها دون أن تطعن فيها.

3- خصائص المنهج الوصفي.

يتميّز **المنهج الوصفي** عن غيره من المناهج بأنّه[1]:

- ✓ يهتمّ **باللّغة المنطوقة** ويجعلها **هدف البحث اللّغوي**، لأنّ التغيّرات أكثر ما تظهر على اللّغة المنطوقة؛
- ✓ يقتصر على **الجانب الشكلي في وصف الظّواهر اللّغويّة**، وطرح كلّ ما هو غير شكليّ ولا تحدّه الضّوابط التركيبية للوحدات اللّغويّة؛
- ✓ **لا يُعير اهتماما للمنطق الأرسطي لأنّه يؤدّي إلى الاضطراب والجدل الذهني، ويهتمّ بمنطق اللّغة الذي يُؤدّي إلى التّفكير المنظّم** في تناول مظاهر اللّغة وعناصرها وتقسيم فصائلها وأنواعها؛
- ✓ **يستهدف وصف الظّاهرة اللّغويّة دون مقارنتها ودون الوقوف على مراحل تطوّرها**، بل يصفها كما هي من حيث اطّراد وشيوع قواعدها؛
- ✓ يُعدّ المنهج الوصفيّ **أكثر المناهج توظيفاً** في العلوم الإنسانية وبخاصّة في البحوث اللّغويّة.

4- أدوات المنهج الوصفي.

يعتمد **المنهج الوصفي**، كبقيّة المناهج الأخرى، على **أدوات** محدّدة يُمكنُ إجمالها فيما يأتي[2]:

---

[1] **يُنظر: في المناهج اللّغويّة وإعداد البحوث: صالح بلعيد**، ص59.

[2] **يُنظر: في المناهج اللّغويّة وإعداد البحوث: صالح بلعيد**، ص60.

- ✓ **الملاحظة:** وهي أهمّ أداة يوظّفها **المنهج الوصفي** في الأبحاث اللّغويّة ولا يُمكنه الاستغناء عنها، والمقصود بها هنا **الملاحظة العلميّة التي تعني النّظر المتأنّي في الظّواهر بواسطة الحواسّ أو بالاستعانة بوسائل وأدوات مناسبة** لموضوع الملاحظة؛
- ✓ **العيّنة:** وهي **مجموعةٌ تمثّل المجتمع المستهدف بالدّراسة والبّحث،** يوظّفها المنهج الوصفي عندما يتعذّر أو يصعب الاتّصال بكلّ فردٍ، أو عندما يكون مجتمع الدّراسة كبيراً يصعبُ التحكّم فيه؛
- ✓ **الاستبانة:** وهي **استمارة تضمّ مجموعة أسئلة** محضّرة تحضيراً يراعى فيه مجموعة من القواعد المنهجيّة، توزّع على المستجوبين للإجابة عليها.

وفي الختام أقول إنّ هذه **المناهج الثلاثة** التي ظهرت في أوروبا والتي أحدثت ثورة في **البحث اللّغويّ** قد مهّدت لظهور مناهج أخرى على غرار **المنهج المقارن** الذي يَعتمدُ أساساً على **المنهج الوصفي.**

الدرس الثاني عشر: المنهج التقابليّ.

رأينا في الدرس السّابق أنّ **المنهج الوصفي** الذي تبنّاه **دي سوسير** في القرن العشرين قد تبعته مناهج أخرى، جعلته أساساً لها على غرار **المنهج التقابلي** (Méthode contrastive)[1] الذي نشأ بعد **الحرب العالميّة الثانية نتيجة** الإقبال على **تعلم اللغات الأجنبية،** وما وقر في نفوس الكثير من متعلمي هذه اللغات ومعلّميها من أن الصعوبات التي تواجههم يسببها في المقام الأول الاختلافات بين اللغة الأم واللغة الأجنبية المنشود تعلمها[2].

لا يدرس **المنهجُ التقابلي** اللّغةَ إلاّ في فترة زمنيّة محدّدة، بخلاف المنهجين "**التاريخي**" و"**المقارن**" الذين يدرسان الظّاهرة اللّغويّة ويرصدان تغيّراتها عبر فترات زمنية متعاقبة؛ **فالمنهج التقابلي** إذاً **منهج وصفيّ حديث** يُرادُ منه في البحث اللّغويّ **مقارنة** لغة بلغةٍ أخرى، أو لهجة بلهجةٍ أخرى أو ظاهرة لغويّة بظاهرة أخرى، شريطة أن **لا تنتميان إلى فصيلة لغويّةٍ واحدة** وأن تكونا **في وقتٍ واحد،** ويهدف هذا التقابل إلى **تحديد الفروق بين المستويين المتقابلين في جوانبهما الصّوتيّة والصّرفيّة والنّحويّة والدّلالية**[3]؛ يقول: **محمود فهمي حجازي:** «وموضوع البحث في **علم اللّغة التّقابلي**- أحدث مناهج علم اللّغة- هو **المقابلة بين لغتين اثنتين أو لهجتين اثنتين أو لغة ولهجة،** أيْ بين **مستويين لغويين متعاصرين.**

---

[1] **يُنظر: أسس علم اللّغة العربيّة: فهمي حجازي،** ص40.

[2] **يُنظر: في المناهج اللّغويّة وإعداد البحوث: صالح بلعيد،** ص52.

[3] **يُنظر: منهج البحث الأدبي واللّغويّ: محمّد علي عبد الكريم الرديني وشلتاغ عبود،** ص204-205.

ويهدف **علم اللّغة التقابلي** إلى **إثبات الفروق بين المستويَيْن**، ولذا فهو **يعتمد أساساً على المنهج الوصفي**؛ فإذا كان **المستويان اللّغويّان قد وُصِفا وَصْفاً دقيقاً بمنهجٍ لغويّ واحدٍ** أمكنَ بحثهما بعد ذلك **بالمنهج التقابلي**؛ و**إثبات الفروق بين المستويين يوضّح جوانب الصّعوبة في تعليم اللّغات**، فإذا كان أحد أبناء اللّغة الإنجليزيّة يودّ تعلّم العربيّة فالصعوبات التي تواجهه ترجع في المقام الأوّل إلى اختلاف لغته الأمّ وهي الإنجليزيّة عن اللّغة التي يريد تعلّمها وهي العربيّة. **هناك فروق فرديّة تجعل بعض الأفراد قادرين على تعلّم اللّغات الأجنبيّة أسرع من غيرهم**، ولكنّ **علم اللّغة التقابلي** لا يهتمّ بهذه الفروق الفرديّة **بل يهتمّ بالفروق الموضوعيّة**، ولذا فهو **يُقابلُ بين مستويين لغويين اثنين بهدف بحث أوجه الاختلاف بينهما والتعرّف على الصّعوبات النّاجمة عن ذلك**»[1].

إلاّ أنّ بعض اللّغويّين لا يرى بأساً في أن تكون **المقابلة** بين **لغتين تنتميان إلى فصيلة لغويّة واحدة**، ومن ذلك ما قاله **عبده الرّاجحي**: «ظهر علم **اللّغة التقابلي** (Contrastive linguistics) **ليُقارن** بين لغتين أو أكثر من **عائلة لغويّة واحدة أو عائلات لغويّة مختلفة**، بهدف تيسير المشكلات العمليّة التي تنشأ عند التقاء هذه اللّغات **كالترجمة وتعليم اللّغات الأجنبيّة**»[2]، أيْ أنّ النتائج التي يتوصّل إليها الباحث **بتوظيف المنهج التقابلي** يتمّ استثمارها في مجال **اللّسانيات التطبيقيّة** (Linguistiques appliquées)[3]، **فالمنهج التقابلي** غرضه الأساس تعليم اللّغات الأجنبيّة أو ترجمتها؛ ويُمكننا استنتاج ذلك من قول **عبده الرّاجحي الذي جاء فيه**: «ويُفضّل علم اللّغة التطبيقي مصطلح **التحليل التقابلي** بدلاً من **علم اللّغة التقابلي**؛ إذ المقصود هنا تحليلٌ لغويٍّ يجري على اللّغة التي هي موضع التعليم واللّغة الأولى للمتعلّم»[1].

وقد حاول **صالح بلعيد** تعليل **إفادة الترجمة وتعليم اللّغات** من نتائج هذا النّوع من البحوث التي تجعل من **المنهج التقابلي** عمدةً لها، فقال: «**الترجمة** في المقام الأول هي إيجاد **المتعادلات في اللغتين في كل الظواهر اللغوية**، ولن يستطيع **المترجم** أن يأتي بهذه المتعادلات ما لم يقف على جهود الباحثين في حق **المنهج التقابلي**» [4]؛ ثمّ حاول **تعليل تعليم اللّغات الأجنبيّة**، وتحدّث عن قضيّة **الاختلاف بين اللّغة الأمّ واللّغة الأجنبية** المراد تعلّمها، فقال بأنّ هذا الاختلاف «يعود إلى **ما يوجد في اللغة الأم من أصوات وقواعد لا يوجد في اللغة الثانية**؛ وتقف **هذه الفروق عائقا**

---

[1] **أسس علم اللّغة العربيّة: فهمي حجازي**، ص40-41.

[2] **علم اللّغة التطبيقي وتعليم العربيّة: عبده الرّاجحي**، ص45.

[3] **يُنظر: أسس علم اللّغة العربيّة: فهمي حجازي**، ص41.

[4] **في المناهج اللّغويّة وإعداد البحوث: صالح بلعيد**، ص52.

أمام تعلم دقائق اللغة الثانية؛ ولهذا ينبغي على متعلم اللغة الأجنبية أن يكون لديه **اطلاع على بعض أوجه الشبه والاختلاف لتفادي الأخطاء،** فلقد أفاد كثيرا مبدأ المقابلة بين اللغة الأم واللغة المراد تعلمها لتجنيب المتعلم الأخطاء الناتجة عن **إسقاط عاداته اللغوية الأصيلة على اللغة الجديدة التي يعتزم تعلمها،** كما يشترط في اللغتين أو اللهجتين أن تكونا قد وصفتا وصفا دقيقا، وبمنهج لغوي واحد، ليسهل على المقابل أن يهتدي إلى الفروق بينهما في مختلف عناصر بنيتهما الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية»[1].

1- الفرق بين المنهجين التقابلي والمقارن.

نُلاحظ من خلال المفاهيم سابقة الذّكر المتعلّقة **بالمنهج التّقابلي** أنّه يتقاطع مع **المنهج المقارن** في أنّهما **يُقارنان بين مستويين اثنين،** إلاّ أنّهما يختلفان في نقاط كثيرة، يُمكنُ إجمالها فيما يأتي:[2]

- **المنهج المقارن:**

✓ **علم اللغة المقارن** يقارن اللغات المنتمية إلى **أسرة لغوية واحدة؛**

✓ **يدرس الظّاهرة اللّغويّة خلال فترات زمنيّة متعاقبة؛**

✓ يهتم في المقام الأول **باستخدام الأقدم في هذه اللغات للوصول إلى اللغة التي خرجت عنها هذه اللغات؛**

✓ **يوازن بين اللغات بقصد التأصيل والوقوف على جوانب التطور؛**

✓ **هدفه تاريخي،** يحاول الكشف عن جوانب من الماضي البعيد.

- **المنهج التقابلي:**

✓ **لا شأن له بالاهتمامات التاريخية؛**

✓ **دراساته ذات هدف تطبيقيّ** في مجال **تعليم اللغات؛**

✓ رأى بعض الدارسين أنه **من الممكن إجراء دراسة تقابلية بين لغتين من أسرة واحدة، والأفضل أن تكونا من أسرتين مختلفتين؛**

✓ **يدرس الظّاهرة اللّغويّة خلال فترة زمنيّة محدّدة؛**

✓ **الهدف** من المقابلة ليس تعرف الأصل القديم، بل **تعرّف الفروق الصوتية أو النحوية أو الدلالية؛**

---

[1] **نفسه،** ص53.

[2] **يُنظر: مباحث في علم اللّغة ومناهج البحث اللّغويّ: نور الهدى لوشن،** ص293-294. **يُنظر أيضاً: في المناهج اللّغويّة وإعداد البحوث: صالح بلعيد،** ص53-54.

✓ **هدفه تعليمي،** أيْ أنّه يقصد التعليم ومعرفة المشكلات التي يعاني منها الدارس الذي يبتغي اكتساب لغة جديدة.

2- نماذج من نتائج البحث التقابلي.

إنّ من أهمّ **نتائج الأبحاث** التي تهدف إلى **معرفة الصّعوبات التي يُصادفها الطالب عند تعليمه اللّغة الأجنبيّة،** والتي وظّفت **المنهج التقابلي** لتحقيق هذا الهدف، ما يأتي:[1]

✓ يدلّ **الفعل** في اللّغة **العربيّة** على **الحدث بصيغته،** وعلى **الزّمن بأدوات** أخرى مرافقة له. / يدلّ **الفعل** في اللّغة **الإنجليزيّة بالصيغة** على **الحدث والزّمن معاً؛**

✓ **الجملة** في اللّغة **العربيّة** نوعان: **اسميّة** و**فعليّة.** / **الجملة** في اللّغة **الإنجليزيّة اسميّة** فقط؛

✓ يؤدّى **الاستفهام والنّفي والنّهي** في اللّغة **العربيّة بأدوات** تُضاف إلى الجملة **الاسميّة** أو **الفعليّة.** / تُؤدّى **هذه الأساليب** في اللّغة **الإنجليزيّة** بواسطة **التراكيب الفعلي؛**

✓ تكثر **الأصوات الحلقية في مفردات** اللّغة **العربيّة.** / هذه الأصوات **قليلة نسبيّاً** في اللّغة **الإنجليزيّة؛**

✓ **الأساس في تكوّن المفردات العربيّة هو الوزن الثلاثي وتقلّباته** بواسطة الاشتقاق الأصغر أو الأكبر. / **الإنجليزيّة لغةٌ إلصاقية** أيْ أنّ **المفردات تتكوّن فيها بواسطة إلصاق مورفيمات لها؛**

✓ **مستويات** اللّغة **العربيّة مختلفة ومتنوّعة،** فأفصحها وأنقاها **لغة القرآن الكريم،** ثمّ **اللّغة المستعملة في القراءة والكتابة،** ثمّ لغة التخاطب بين المثقّفين، ثمّ لغة التعامل العادية. / اللّغة **الإنجليزية لا توجد فيها كلّ هذه المستويات نظراً لحداثتها،** فهي ليست عريقة كاللّغة العربيّة.

---

[1] **التمهيد في علم اللّغة: محمّد خليفة الأسود،** منشورات جامعة السّابع من أبريل-الزّاوية-ليبيا، ط2، 1425هـ، ص68-69.

قائمة المصادر والمراجع

- ✓ **القرآن الكريم.**

أ- المصادر والمراجع باللّغة العربيّة

1- أثر العلم في المجتمع: برتراند راسل، ترجمة: صباح صدّيق الملوجي، مراجعة: حيدر حاج إسماعيل، المنظّمة العربيّة للتّرجمة-بيروت-لبنان، ط1، 2008م.

2- أسرار البلاغة في علم البيان: الجرجاني (عبد القاهر أبو بكر بن عبد الرحمن بن مُحَمَّد الفارسي الأصل)، علّق على حواشيه: السيّد محمّد رشيد رضا، اعتنت بهذه الطبعة مُنى أحمد الشّيخ، دار المعرفة للطباعة والنّشر والتّوزيع-بيروت-لبنان، ط1، 1423هـ-2002م.

3- البحثُ العلميّ-أسسه مناهجه وأساليبه وإجراءاته: ربحي مصطفى عليان، بيت الأفكار الدوليّة-عمّان-الأردن.

4- تاج العروس من جواهر القاموس: مرتضى الزَّبيدي (أبو الفيض محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني)، تحقيق: عبد الستّار أحمد فراج، سلسلة تصدرها وزارة الإرشاد والأنباء-الكويت، 1385هـ-1965م.

5- التوقيف على مهمات التعاريف: المناوي (مُحَمَّد عبد الرؤوف)، تحقيق: مُحَمَّد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر-بيروت، ودار الفكر-دمشق، ط1، 1410هـ**جمهرة اللغة: ابن دريد (أبو بكر محمّد بن الحسن)**، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين-بيروت-لبنان، ط1، 1987م.

6- الدليل المنهجي في إعداد وتنظيم البحوث العلمية: إبراهيم بختي، قسم العلوم الاقتصادية- كلية الحقوق و العلوم الاقتصادية- جامعة قاصدي مرباح- ورقلة، 2006م-2007م.

7- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: الجوهري (إسماعيل بن حماد)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين-بيروت، ط4، 1407هـ-1987م.

8- العلم والبحث العلمي: حسين رشوان، المكتب الجامعي الحديث-الإسكندرية-مصر، 1982م.

9- قواعد الفقه: البركتي (مُحَمَّد عميم الإحسان المجددي)، الصدف ببلشرز للنّشر-كراتشي-باكستان، ط1، 1407هـ- 1986م.

10- كتاب العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي (أبو عبد الرحمن)، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام-بغداد-الجمهورية العراقية، 1975م.

11- كتاب الكليات: أبو البقاء الكفوي (أيوب بن موسى الحسيني)، تحقيق: عدنان درويش ومُحَمَّد المصري، مؤسسة الرسالة-بيروت، 1419هـ-1998م.

12- لسان العرب: ابن منظور (مُحَمَّد بن مكرم الأفريقي المصري)، دار صادر-بيروت-لبنان، ط1، (د.ت).

13- مباحث تأسيسيّة في اللّسانيات: عبد السّلام المسدّي، دار الكتاب الجديد المتّحدة-بيروت-لبنان، ط1، 2010م.

14- المحكم في اللّغة (المحكم والمحيط الأعظم في لغة العرب): ابن سيدة (أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية-بيروت، 2000م.

15- مختار الصحاح: الرازي (مُحَمَّد بن أبي بكر بن عبد القادر)، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون-بيروت، طبعة جديدة، 1415هـ-1995م.

16- مُعجم عجائب اللّغة: شوقي حمادة، دار صادر-بيروت-لبنان، ط1، 2000م.

17- المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، ومُحَمَّد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة للنّشر-القاهرة، (د.ط)، (د.ت).

18- المفردات في غريب القرآن: الرّاغب الأصفهاني (أبو القاسم الحسين بن مُحَمَّد)، تحقيق: مُحَمَّد سيد كيلاني، دار المعرفة- لبنان.

19- مناهج البحث العلمي وطرق إعداد البحوث: د.عمار بوحوش ود.محمود الذنيبات، ديوان المطبوعات الجامعيّة- السّاحة المركزيّة- بن عكنون- الجزائر، ط2 (منقّحة)، 1999م.

20- مناهج البحث في اللّغة: تمام حسان، دار الثقافة-الدار البيضاء-المغرب، 1407هـ-1986م.

21- منهج البحث الأدبي: علي جواد الطاهر، ساعدت جامعة بغداد على نشر هذا الكتاب، مطبعة العاني- بغداد، 1970م.

22- منهجيّة البحث العلمي: ماثيو جيدير، ترجمة ملكة أبيض، تنسيق: محمّد عبد النبيّ السيّد غانم.

23- منهجيّة البحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية: د.خالد حامد، جسور للنّشر والتوزيع- المحمّديّة- الجزائر، ط 2، 1433هـ-2012م.

24- منهج البحث اللّغويّ والأدبيّ: محمّد علي عبد الكريم الرديني وشلتاغ عبود، دار الهدى-عين مليلة-الجزائر، 2010م.

25- الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع-الرياض، ط2، 1999م.

ب- المراجع والمصادر باللّغة الأجنبيّة

26- Le petit Larousse illustré 1984, Librairie Larousse-Paris, 1980

فهرس المحتويات

تمهيد	.....	01
الدرس الأول:	مفهوم المنهج	07 – 02
الدرس الثاني:	حول ظهور المنهج	11 – 08
الدرس الثالث:	المنهج في التراث العربي	14 – 11
الدرس الرابع:	مفهوم البحث العلمي	27 – 14
الدرس الخامس:	خصائص البحث العلمي	29 – 27
الدرس السادس:	أهداف البحث العلمي	31 – 29
الدرس السابع:	خطوات البحث العلمي	32 – 31
الدرس الثامن:	أنواع مناهج البحث وجدلية توظيف المنهج في العلوم الانسانية.	34 – 32
الدرس التاسع:	المنهج التاريخي	39 – 35
الدرس العاشر:	المنهج المقارن	42 – 39
الدرس الحادي عشر:	المنهج الوصفي	47 – 42
الدرس الثاني عشر:	المنهج التقابلي	50 – 47
قائمة المصادر والمراجع	.....	52 – 51
فهرس المحتويات	.....	53